أسامه كامل أبو شقرا



الجهاد في القرآن

لا قتال بعد وفاة النبي ﷺ



تقديم

سماحة العلامة السيد علي الأمين


الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

الجهاد
في القرآن

لا قتال بعد وفاة النبي صل الله عليه وسلم

أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر

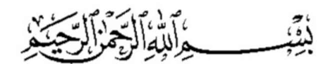
حديث نبوي شريف

الجهاد
في القرآن

أسامة كامل أبو شقرا

تقديم
سماحة العلاّمة السيد علي الأمين





الطبعة الأولى: نيسان/أبريل 2018 م - 1439 هـ

ردمك 978-614-01-2501-8

توزيــع

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 – 785108 – 785107 (1-961+)
ص.ب: 5574-13 شوران – بيروت 2050-1102 – لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

تصميم الغلاف: علي القهوجي

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611+)

الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

شكر خاص

كلُّ الشكر والامتنان لسماحة العلامة السيد علي الأمين على تكرمه بإغناء هذا الكتاب بمقدمة مسبوكة من كلامٍ قيّمٍ يسرُّ الفؤاد ويشرح الصدر، إلى شهادة أعتزُّ وأفتخر بأنّني نلتها من مرجعٍ له هذه المكانة الرفيعة في علوم دين الإسلام والفكر الراقي، صاحب كلمة الحقِّ والاعتدال الذي يرى المذاهب وسائل تعريفٍ بالدين الواحد لا للتفريق بين أبنائه.

مقدمة

سماحة العلّامة السيد علي الأمين حفِظهُ الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاةُ والسلامُ على رسوله الكريمِ ونبيِّهِ الأمينِ محمدِ بنِ عبدِ الله المبعوثِ رحمةً للعالمين وعلى جميعِ الأنبياءِ والمُرسلين وعلى جميعِ عبادِ اللهِ الصالحين.

اطلعت على كتاب (الجِهادِ في القُرآنِ الكريمِ) الذي كتبه الأديبُ المفكرُ الأستاذ أسامه أبو شقرا، حفظه الله تعالى.

وقد نظرتُ في مقاصِدِ الكتابِ وفصولِهِ فوجدْتُها تدورُ حولَ فِكرةٍ جديدةٍ عن الجِهادِ ومعانِيهِ في القرآنِ الكريم، وقد استعانَ في تحديدِ معناهُ والمقصودِ منه باللغة والقرآنِ نفسِهِ وبما ورد من تفسيرٍ لآيات الجهاد والقتال في السُّنَّةِ النَّبوية الشَّريفة، وهي طريقةٌ علميّةٌ وموضوعيّةٌ تُعتمَدُ في تحديد المفاهيم القرآنية ومدالِيلِ النصوصِ الدينيّة.

وهو أراد من كتابِه هذا أن يدفعَ بالدليل والبرهان تَمَسُّكَ بعضِ الجماعاتِ بآياتٍ من القرآن الكريم لتشويهِ الإسلامِ والقولِ بأنَّه داعيةُ قتلٍ وقِتالٍ إلى يومِ الدين.

وقد طرح فكرةً مُهمَّة في كتابه ترجع إلى تحديد الجهاد من الناحية الزمنية بحياة النبي عليه الصلاة والسلام، وهي فكرةٌ جديرةٌ بالوقوف عندها والتأملِ فيها.

ولا شكَّ بأنّ في القرآن الكريم آياتٍ مُحكماتٍ تشكّلُ المرجعيةَ في فهم نصوص الجهاد والقتال، وهي تساعد على فهمِ الكثيرِ من النصوصِ الدينيةِ الواردةِ في الكِتابِ والسُّنّة، وهي صالحةٌ

لصرف جهاد الدعوة عن الجهاد بالسلاح إلى الجهاد الفكريّ في سبيل نشرها، وأنّ الجهاد الذي يتضمَّنُ استعمالَ السلاح كان عملًا دِفاعيًّا محضًا لردِّ العدوان من قبل المُعتدِين الذين يريدون أن يُطفِئُوا نورَ اللهِ المُنبعثِ من رسالة الإسلام.

وفي تلك الآيات التي استعرضها المؤلِّفُ ما يدلُّ على أن الدعوة إلى القتالِ ليست عامَّةً لكلِّ من رفضَ الدعوة الإسلامية من أهل الكتاب وغيرهم خِلافًا لما يذكرهُ الفقهاء في أبحاثهم الفقهيّة التي لم تأخذ بنظر الاعتبار ظروفَ الحربِ وأسبابَها الموضوعية وأطرافَها ومقاصِدَها التي يظهر منها انحصارُها بالدفاعية.

والمهمُّ في المقام أن نفهمَ أن قوانينَ الحربِ المذكورة في النصوصِ الدينيةِ ينبغي أن نَفهمَها على ضوءِ آياتِ القرآنِ الكريمِ التي تّشكّلُ المرجِعَ الأساسَ لأخبارِ السّيرةِ عن الحروبِ وما جرى فيها.

وسيجدُ القارئُ في هذا الكتاب الكثيرَ من الجهدِ الذي بذلَهُ المؤلِّفُ في سبيلِ إظهارِ ما في الإسلامِ من مزايا الرحمةِ والإنسانية الجامعة التي تتجاوزُ كلَّ الأُطُرِ الدينية والمذهبية.

وفي هذا المقالِ المختصرِ عن شأنِ الكِتابِ والكاتبِ لا يَسعُني إلّا أنْ أُقدّمَ جزيلَ الشُّكرِ والامتنانِ إلى الأستاذِ أسامه أبو شقرا على ثقتِهِ وعلى جهودِه التنويريةِ في سبيلِ نشرِ الوعْيِ والمعرفةِ، وأسألُ اللهَ تعالى أن يشكُرَ له سعيَهُ ويُجزِلَ له أَجرَهُ وأن ينفعَ الأمَّة بعلمِهِ وأن يُكثِرَ فيها من أمثاله. وآخِرُ دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

بيروت في 18 شباط 2018 ميلادية

الموافق لـ 3 جمادى الآخِرَة 1439 هجرية

علي الأمين

مقدمة المؤلف

قد يكون ما يحصل اليوم في شرقنا من أحداث، تُصبَغُ بالصبغةِ الدينية، حلقةً من حلقات الصراع بين الشرق والغرب، وتحديدًا منذ الحملات الصليبية التي قامت بها الدول الأوروبية بحجَّة تأمين طريق الحج إلى القدس ولكنها تحولت إلى احتلال بقاعٍ وإقامة دول.

خمدت جذوة هذا الصراع بعد تحرير تلك البقاع ثم قيام الدولة العثمانية القوية التي جعلت الدول الأوروبية تعملُ جاهدةً لحماية بلادها منها. أما عندما بدأت تلك الدولة بالضعف، عادت أوروبا إلى السعي إلى تحقيق هدفها السابق للسيطرة على الشرق وموارده بوسائل شتَّى. ونذكِّر أنه يوم احتلت القوات الإنكليزيةُ القُدس، في العام 1917، قال قائدها، الجنرال ألّلنبي: "اليوم انتهت الحروب الصليبية". ويوم احتلت القوات الفرنسية دمشقَ، في العام 1920، وقف قائدها، الجنرال غورو، أمام ضريح صلاح الدين الأيوبي، وخاطبه قائلًا: "يا صلاح الدين،... أنت قلت لنا في إبّان حروبك مع الصليبيين إنكم خرجتم من الشرق ولن تعودوا إليه... وها قد عدنا... فانهض لقد عدنا. أنا الجنرال هنري غورو هنا في دمشق"([1]). ولم أزل أذكر جيدًا ما سمعته من إحدى الإذاعات([2]) عن لسان مارغريت ثاتشر، رئيسة وزراء بريطانيا في حينه، إثر انهيار الشيوعية في أواخر ثمانينات القرن الماضي، جوابًا على سؤال أحد الإعلاميين الغربيين عن رأيها في ذلك، إذ قالت ما معناه: لقد انتهينا من الشيوعية والآن جاء دور الإسلام. ويوم أعلنت الولايات المتحدة الأميركية الحرب على العراق في العام 2003، قال رئيسها، جورج بوش الابن، هي "حربٌ صليبية" وفي اليوم التالي عاد عن قوله هذا واصفًا إياه بأنه "زلّةُ لسان".

وفي أوائل الربع الأخير من القرن العشرين بدأت تظهر علامات التشدد لدى عددٍ غير قليلٍ من المسلمين، سواء كانوا من الشيعة أم من السنَّة. وكانت البداية إثر نجاح ثورة الخميني في إيران

في أول العام 1979، فتمثّلت فيها أولًا بارتداء، كثيرٍ من النساء، "الشادور"، وهو عبارة عن عباءة سوداء فضفاضة تغطّي جسد المرأة من أعلى رأسها حتى القدمين. ثم تبعتهن النساء في المملكة العربية السعودية. وما زلتُ أذكر جيدًا ما شاهدته في أولى زياراتي لعاصمتها، مدينة الرياض، في العام 1978، في أثناء تجولي في "البطحاء"، أهم أسواقها القديمة، إذ رأيت نساءً تسرنَ بين الجموع كاشفات الرأس، مرتديات "الفساتين" ذواتِ "نصف الكمِّ" والطول الذي يزيد قليلا عما يُغطّي الرُّكبة، وذلك على مرأى من "المُطوّعين" الذين كانوا يكتفون، فقط، بالدعوة إلى الصلوات في أوقاتها. ولكنّي في زيارةٍ لاحقة لتلك المدينة في العام التالي، بعد بضعة أشهرٍ من نجاح ثورة الخميني، لم أرَ امرأة واحدة من دون العباءة وغطاء الرأس معًا.

وفي آخر العام 1979، دخلت قواتٌ عسكرية سوفييتية إلى أفغانستان لدعمِ النظام الجمهوري الموالي لموسكو، الذي قام إثر انقلابٍ على الملكية فيها في العام السابق. بعدها بدأت حركة المقاومة بوجه تلك القوات، ثمَّ ما لبثت أن أُلبست لباسًا إسلاميًّا، لتتحول، بقدرة قادرٍ، إلى "جهادٍ مقدسٍ"، ما جعل كثيرين من غير الأفغانيين ينضمّونَ إلى صفوفها، وكان جُلُّهم من العرب وعلى رأسهم السعودي أسامة بن لادن، وبرز تنظيم "القاعدة"، إلى جانب "حركة طالبان الأفغانية"، مدعومًا من دولٍ خارجية على رأسها الولايات المتحدة الأميركية. ولكنني حتى اليوم لا أعرف من الذي دعا إلى هذا الجهاد، ولا صفته، قبل أسامة بن لادن.

وبعد انسحاب السوفييت في العام 1989، واندحار "الشيوعية"، خرج من أفغانستان كثيرٌ من عناصر "القاعدة"، وعاد قسمٌ منهم إلى بلادهم، أما الآخرون، الذين سُمُّوا "الأفغان العرب"، فقد انتشروا في أقطارٍ أخرى ليكملوا ما اعتبروه "واجبهم" في قتال من يزعمون أنهم "كُفارٌ" أينما وجدوهم. فكان بذلك خروج "مارد الإرهاب" من القمقم الأفغاني، إلى سائر أنحاء العالم. وتوالت الأحداث، فمن 11 أيلول 2001 في نيويورك إلى الهجوم الأميركي على أفغانستان، بذريعة القضاء على "القاعدة". ثم على العراق في العام 2003، بذريعة امتلاكه أسلحة الدمار الشامل، ما تبين أنها كذبة اختلقها قادة الولايات المتحدة الأميركية لاحتلال العراق، مهد الحضارات، وما تلاه من فوضى ودمار في هذا البلد وما فيه من موارد طبيعية. ثم جاءنا ما سُمِّيَ بالربيع العربي، بدءًا من تونس ثم مصر فليبيا واليمن وسوريا، شقيقة العراق في احتضان الحضارت، ليتحول ذاك الربيع، في هذه الثلاث الأخيرة، إلى حروبٍ أهلية مدمرة.

وكان مع كلِّ حدثٍ يزداد عدد الحركات والجماعات والتنظيمات التي أُلبِست، عمدًا، أثوابًا إسلامية، وأهمها جبهة النُصرة (فيما بعد: "فتح الشام") وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش).

وكما عادت النساء بلباسهنَّ إلى ما كنَّ عليه في القرون الوسطى، عاد الرجال، مدّعين التشبه بالرسول الكريم (ص)، ولبسوا الجلباب وأحفوا الشوارب وأطلقوا اللحى، من دون التشبّهِ بأخلاقه أو معاملته للمسلمين وغيرهم. ولكنهم لم يكتفوا بذلك بل راح "المتفيقهون" منهم يتحفوننا بفتاويهم لقتل البشر وتدمير الحجر واغتصاب النساء وسبيهنَّ ورجمهنَّ...

وقد هالني جدًّا أنهم يسندون ما يفعلون ويقولون إلى آياتٍ أو أجزاء من آياتِ القرآن الكريم أو الأحاديث أو أقوال "السلف الصالح" ليظهروها بأنها تعاليم الإسلام لاستغلال عقول الأغبياء والجهلة والأطفال... مما جعل كثيرًا من الناس، من جميع الأعراق والأديان والملل والنحل، بمن فيهم مسلمون يجهلون حقيقة دينهم، يعتقدون أن الإسلام دين القتل والذبح والاسترقاق وإشباع الغرائز الجنسية. حتّى أنّ أحدهم قال لي يومًا، ما معناه: (ما دامت آيات القتل الواردة في سورة التوبة من دون حذف، فلن نتمكن من التخلص من صبغة الإرهاب). ومما يؤسف له أنّ هذا الرجل المسلم يحمل أعلى الشهادات العلمية، ونراه يطلق حكمه على القرآن الكريم بأنه منبع الإرهاب استنادًا إلى نصِّ بضع آيات من دون أن يتحقق مما إذا كانت جُزءًا من مجموعة آيات تشكل موضوعًا متكاملًا أم لا، وبذلك كان كمن قرأ: "لا أله"، من دون أن يكمل: "إلّا الله".

أمام هذا الواقع المؤلم رأيتُ من واجبي أن أمضي قدمًا فيما رسمته لنفسي لإظهار تعاليم دين الإسلام السمح من نصوص آيات القرآن الكريم وحدها. فكان أن وضعت هذا الكتاب سائلًا المولى عزَّ وجل أن يبلغ ما هدفت إليه.

وإنّي على يقينٍ تامٍّ من أن الحقيقة ستظهر يومًا في أن كثيرًا من هذه الأحداث، المسماة زورًا "طائفية أو دينية"، التي تعرضت لها بلادنا ولم تزل، قد افتعلتها دول أجنبية خدمة لمصالحها. ولكنّي أتمنى على الغيورين من المتخصصين الإسراع في إجراء الأبحاث الموثقة عن كيفية استغلال تلك الدول عقولَ الجهلة أو أصحابِ النفوس الدنيئة والرخيصة من بعض المسلمين للقيام بما يخدم مصالحها ملبسينه لباس الإسلام.

كانون الثاني (يناير) 2018

أسامه كامل أبو شقرا

الفصل الأول

الفهم الصحيح لموضوعات القرآن الكريم

خلق الله الإنسان بعقل يسيّرُ أعماله وسلوكه وغرائزه، وميّزه بهذا العقل عن سائر المخلوقات الحيّة التي تسيّرها غرائزها فقط. كما جعل البشر على درجات، {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} (الأنعام 165)

{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (المجادلة 11)

وهذا ما يجعلني أرى الناس، في كل حقلٍ أو موضوع أو تخصُّص، ثلاثا: عالِمٌ ومتعلمٌ وعامَّة. وقد يكون واحدنا عالمًا في تخصصه ومتعلمًا في غيره ومن العامة في سائرها.

فالعالِم هو من يُعتبرُ مرجعًا في تخصصه، له آراء ومواقف يحتذى بها.

والمتعلم، من يدرس الأمور بعناية ودقّة لِيُكوّن قناعته الشخصية في مدى صلاحها له أو عدمه. وعندما يطَّلع على آراء العلماء ويدرسها فقد يقبل بها أو يرفضها، إما بالكامل أو جزئيًا.

أمّا العامة، فجُلُّهم يتبع أقوالَ وأعمالَ العلماء من دون نقاشٍ أو جدلٍ أو تحقق أو تردد، فيكونون كأعمى البصر حين ينقاد لخطوات وتعاليم مرشده. وقد يصبح بالتالي، كلٌّ منهم "عبدًا" (إذا صح التعبير) لأفكار "عالِمِه". وهؤلاء هم الجهلة، وقد يسمون أيضًا "مُقلِّدِين".

وبقدر ما تزداد نسبة الجهل في أمةٍ ما، تزداد هذه تقهقرًا. ولذا تكون مسؤولية العلماء في إصلاح شؤونها وإنهاضها من جديد، عظيمةً جدًّا. وبقدر صلاح نفوس هؤلاء العلماء وفهمهم الصحيح، تكون نتيجة جهدهم جيدة. كما يتحمل المتعلمون أيضًا نسبة كبيرة من تلك المسؤولية، إذا

تهاونوا سواء في التصدي للأفكار الهدامة لأصحاب الغايات، إلى أي فئة انتموا، أم في توعية من يستطيعون من الجهلاء.

وإذا ما وقع زمام تلك الأدمغة المُنقادة، بأيدي أصحاب النفوس المغرضة من "العلماء"، فقد تصبح من أخطر ما يمكن أن تواجهه الأمم. وهذا مما نراه، للأسف، في أيامنا هذه من أفعالِ من يغلِّفون جرائمهم بغلاف دينيٍّ إسلاميٍّ، يسيطرون به على عقول الشباب فتصبح أجسادهم قنابل موقوتة يفجرونها ساعة يشاؤون، وينعتون هذا، زورًا، بالعمليات الاستشهادية.

وبما أن الكثيرين من "علماء الدين" في بلادنا العربية، لا يُقرُّون بأن قد يكون في أيٍّ من فتاويهم أو شروحهم بعضُ الخطأ، فإنّي أتوجه ببحثي هذا إلى كلِّ من يرى نفسه في صفوف المتعلمين.

لقد تعلمنا في المدرسة، أن أول وأهمّ أصول النقد الأدبي، يكون في ألاّ نُعطي أو نُكوِّن رأيًا في أي قصيدة شعر أو قطعة نثرٍ، من قصة أو غيرها، قبل أن نُكمل دراستها بتمعّن وتعمّق من جميع جوانبها، من أسلوب الكاتب إلى الصياغة اللغوية وسلامتها وصولًا إلى التحقق مما إذا كان النص قادرًا على إيصال كُنه ما أراد الكاتب وصوله إلى عقل القارئ.

فأن يُعطي شخصٌ رأيه في كتابٍ أو موضوعٍ ما بعد دراسته بطريقة النقد العلمية الصحيحة، فهذا أمرٌ جيّدٌ ودليلُ عافية فكرية.

أما أن يُصدِرَ حكمهُ في هذا الموضوع أو ذاك مسبقًا أو استنادًا إلى ما قاله فلانٌ من الناس، مهما بلغ هذا الأخير من المستوى العلمي أو الفكريّ، فهذا ما يجعله في صفوف الجهلة "المقلدين"، لأنه بذلك يثبت أنه ليس عالمًا ولا متعلمًا.

حتى من يوصفون، في أيامنا هذه، بأنهم "علماء الدين" فالكثيرون منهم، قد لا يتصفون حتى بصفة "المتعلمين" لأن آراءهم وأفكارهم، حول تعاليم الإسلام، تستند في معظمها إلى ما قاله أئمة أو مفسرون منذ عدة قرون، من دون أن يتحققوا من صحة ما وصل إليهم من تلك الأقوال، أو مما إذا كان فيها بعضٌ من الخطأ في النقل أو غيره، أو من الاختلاف مع نصوص القرآن الكريم، أو مما إذا كان أولئك الأئمة أنفسهم قد وقعوا في الخطأ، وكأن لأقوالهم وآرائهم تلك قدسيةَ آيات القرآن الكريم، أو أنَّ لهم عصمةَ الأنبياء.

فيا أخي "المتعلم"، إذا كنت تريد دراسة القرآن الكريم أو أيٍّ من موضوعاته لتكوّن رأيك من قناعتك الشخصية، فإنني أنصح لك بما يلي:

أولًا: آيات القرآن الكريم كلٌّ لا يُجزّأ، فعليك دراستها بالكامل، لأنها مترابطة بعضها ببعض، على الرغم من أنك قد لا ترى أحيانًا هذا الترابط في الظاهر. وقد أشار تعالى إلى ذلك في قوله: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} (البقرة 85). وفي قوله: {هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ} (آل عمران 7)

ثانيًا: الموضوع الوحيد الذي نجده في سورة واحدة هو قصة يوسف (عليه الصلاة والسلام). أما غالبية سائر الموضوعات، فقد بيّنتها آيتان أو ثلاث من آياته أو أكثر، وأحيانًا كثيرةً في غير سورة، منها ما بيَّنَ أُسس ذلك الموضوع، ومنها ما كان لإيضاحه أو لتفصيله؛ ولذا يكون من الواجب، على كل من يريد دراسة موضوعٍ معينٍ أم الاستشهاد بما قاله القرآن الكريم فيه، أن يدرس أو يُدلي، أقلًا، بالآيات الأساسية، ولا يقتصر، فقط، على ما من شأنه عدم بيان أساس ما أراد الله أن يُبيّنه لنا. وكمثالٍ على ذلك نذكر ما أثاره أحد بيانات أسامة بن لادن على أثر أحداث 11 أيلول (سبتمبر) 2001، في الولايات المتحدة الأميركية، حين راح يحضُّ المسلمين على مقاطعة المسيحيين وعدم موالاتهم([3]) مستشهدًا بالآية الكريمة التي تقول: {يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَارَىٰ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ} (المائدة 51). فقد أثار هذا البيان لدى كثيرين ممن سمعوه أو قرأوه، شعورًا بالتعجب أو السُّخط أو الاستياء، وقد يكون وصل ببعضهم إلى حد توجيه التهم إلى القرآن الكريم، منها تهمة زرع بذور البغضاء والعداوة في صدور المسلمين تجاه المسيحيين، أو تهمة التناقض في آياته، إذ كيف تقول الآية (51)، المذكورة آنفًا: {يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَارَىٰ أَوْلِيَآءَ...} ثم تقول الآية (82) من السورة نفسها {... وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى...}؟ فموضوع "اتخاذ الأولياء من أهل الكتاب وغيرهم" أرى أن القرآن الكريم قد وضع أسسه ليس فقط في الآية التي ذكرها ابن لادن بل هناك أيضًا آيتان أخريان أرى أن واجبه الديني كمسلم، والأمانة

العلمية، كانا يقضيان بأن يقرأهما، مباشرة، بعد تلك الآية وهما: {لاَّ يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوۤاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ *([4]) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُواْ عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ} (الممتحنة 8 و9). ولا ننسى أيضًا كم تسبب يومها ابن لادن في "أذية الله ورسوله" باتهامهما زورًا وبهتانًا بـ "القاتِلَين والذَّبَّاحَين"، وبـ "أذية المسلمين" بهذه التهم والحروب التي تُشنُّ على بلادهم بحجة مكافحة "الإرهاب الإسلامي"، وهذا ما نهى عنه تعالى في قوله: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا} (الأحزاب 57 و58).

ثالثًا: كذلك لا يجوز الاستشهاد بجملة أو عبارة واحدة من آية إذا كانت جُزءًا من موضوع. فلو أخذنا مثلًا الآية التالية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ...} (النساء 43)، فإذا قرأنا منها عبارة: {لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ} من دون أن نقول: {وَأَنتُمْ سُكَارَى...}. أو أن نقرأ {ويلٌ للمصلين} (الماعون 4) من دون أن نتبعها بالآية التي تليها: {الذين هم عن صلاتهم ساهون} (الماعون 5)، فقد نُوهِمُ غير العارف، بأن الصلاة، ليست فقط، غير واجبة على المسلم، بل هي أيضًا مما نهى القرآن عنه. وهذا مما يُصنّف "كتمًا للحق" مما نهى عنه تعالى في قوله: {وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} (البقرة 42). ثم ألا ترى معي أيها القارئ الكريم أن الاجتزاء خير وسيلة لتشويه الحقائق؟

رابعًا: كثيرٌ من الآيات تبقى مرتبطةً بالمعنى بما قبلها أو بما بعدها، على الرغم من أنها منفصلة عنها كتابة. وكما تقول القاعدة: "القرآن يفَسِّرُ بعضُه بعضًا".

خامسًا: أسباب ومناسبات نزول الآيات وإلى من
هي موجهة، مما يساعد كثيرًا على فهم معانيها والمقصود منها.

سادسًا: عليك العودة إلى معاني الكلمات إبَّان نزول الوحي، لأن الكثير منها دخل في عالم النسيان لندرة استعماله أو هو، للأسف، يستعمل اليوم في غير معناه. وذلك متيسرٌ من أمّات معاجم اللغة ومن آراء "المفسرين". واذكر دومًا قاعدتين: أولاهما: "لا يُفهَمُ أيُّ نصٍّ لُغويٍّ ما لم يقبله العقل". والثانية: "لا يقصد المُخاطِب إفهامَ السَّامعِ معانيَ الكلمات المُفردة بل النَّظْم([5])".

سابعًا: في اللغة العربية، كما في غيرها، كلماتٌ لها عدة معانٍ، ولذا يقتضي التحري جيدًا عن المعنى المقصود. وفيها أيضًا كلمات تسمى بـ "الأضداد"، أي أنها تعني الشيء وضده، كما في اشترى وباع، فقد تعني كلتاهما الشراء والبيع، وهذا مما يُستنتج من سياق الكلام وحسبما يقبله العقل، كما قلنا آنفًا.

ثامنًا: كما يمكن للكاتب أن يُضْمِر كلمة تجعل ما بعدها عرضة للاختلاف في إعرابه، كما في قولنا: "تحيةٌ واحترامٌ" أو "تحيةً واحترامًا"، ففي الرفع تعرب "تحية" مبتدأ، وفي النصب تعرب مفعولا به أو مفعولا مطلقا كأننا نقول: (أقدم لكم تحيةً...) أو (أحييكم تحيةً...). ولذا كانت العرب تعتمد على فطنة القارئ في فهم المعنى المقصود. ومن الأمثلة على ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ} (النحل 61). يريد: (على الأرض). ومنه قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ} أي واذكر إذ قال ربك([6]).

تاسعًا: اعتماد طريقة البحث العلمي المتجرِّد، ومن دون حكمٍ مسبقٍ تريد إثباته، يوصلك إلى غايتك.

عاشرًا: مقولة: "يُقرأ الكتاب من عنوانه، أو من مقدمته"، تُبعدك كلَّ البعد عن البحث العلمي.

وإذا كنت ترغب في دراسة موضوع هذا البحث "الجهاد في القرآن" لتكوِّن رأيك الخاص بنفسك أو لنقد ما أوردناه فيه، فستجد الآيات التي تخصه في (ص 515 وما يليها) من كتابنا "دليل الموضوعات في آيات القرآن الكريم". كما أدرجناها أيضًا في الفصل الخامس من هذا البحث مع أقوال بعض المفسرين وأسباب النزول.

الفصل الثاني
ما هو الجِهاد في سبيل الله؟

يظنُّ كثيرون أن الجهاد في سبيل الله لا يكون إلّا بالقتال سواء بالسيف أم بغيره، ومن هذا المفهوم جاءت ترجمته إلى اللغات الأجنبية بـ "الحرب المقدسة"، بالفرنسية "Guerre sacrée" وبالإنكليزية "Sacred war"، وهذا غير صحيح. فلو عدنا إلى أولى الآيات التي تكلمت عن الجهاد لوجدنا أنها نزلت على النبي (ص) في المرحلة المكية من الدعوة، وعلى الرغم مما تعرض له، هو ومن معه من المؤمنين، من الظلم والاضطهاد والأذى والتعذيب، في تلك المرحلة، وعلى مدى ثلاث عشرة سنة قبل هجرته إلى المدينة، على يد قريش وحلفائها، فلم تذكر كتب التاريخ أنَّه، هو أو أيًّا من صحبه قد رفع سيفًا بوجه أيٍّ من أولئك. كما أن الله عزَّ وجلَّ، كان يوصيه بالصبر، {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ} (الأحقاف 35).

أما تلك الآيات فهي حسب التسلسل التاريخي لنزولها:

الآية الأولى: {فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا} (الفرقان 52)

يقول الطبري في تفسير هذه الآية: "فلا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه من أن تعبد آلهتهم، ولكن جاهدهم بهذا القرآن جهادا كبيرا، حتى ينقادوا للإقرار بما فيه من فرائض الله، ويدينوا به. وبنحو الذي قلنا في قوله: وَجاهِدْهُمْ بِهِ قال أهل التأويل. وقال ابن عباس: قوله فَلا تُطِعِ الكافِرِينَ وَجاهِدْهِمْ بِهِ قال: بالقرآن".

وبمثل هذا قال أيضًا ابن كُثير والجلالان والبيضاوي وغيرهم من المفسرين. فالجهاد في هذه الآية، إذًا، ليس بالسيف بل بالقرآن، أي بالإقناع بما فيه، باللسان وبالحجة، وهو ما وصفته الآية عينها بأنه جهادٌ كبيرٌ.

الآية الثانية: {وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} (العنكبوت 6)

يقول ابن كُثير: "وقوله تعالى: {وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} قال الحسن البصري: إن الرجل ليجاهد وما ضرب يومًا من الدهر بسيف. ثم أخبر تعالى أنه مع غناه عن الخلائق جميعهم، ومع بره وإحسانه بهم، يجازي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أحسن الجزاء، وهو أن يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا، ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون". فمعنى الجهاد هنا هو الإيمان والعمل الصالح.

الآية الثالثة: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} (العنكبوت 69)

يقول ابن كُثير: "قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن أبي الحواري، أخبرنا عباس الهمداني أبو أحمد من أهل عكا في قول الله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} قال: الذين يعملون بما يعلمون يهديهم الله لما لا يعلمون. قال أحمد بن أبي الحواري: فحدثت به أبا سليمان الداراني، فأعجبه وقال: ليس ينبغي لمن ألهم شيئًا من الخير أن يعمل به حتى يسمعه في الأثر، فإذا سمعه في الأثر عمل به، وحمد الله حتى وافق ما في نفسه".

وفي تفسير الجلالين: {وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا فِينَا} في حقنا {لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ} أي طريق السير إلينا {وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ} المؤمنين بالنصر والعون".

ويقول القرطبي: "قوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} أي جاهدوا الكفار فينا. أي في طلب مرضاتنا. وقال السّديّ وغيره: إن هذه الآية نزلت قبل فرض القتال. قال ابن عطية: فهي قبل الجهاد العرفي، وإنما هو جهاد عام في دين الله وطلب مرضاته. وقال ابن عباس وإبراهيم بن أدهم: هي في الذين يعملون بما يعلمون. وقد قال صلى الله عليه وسلّم: «من عمِل بما علِم علّمه الله ما لم يعلم»".

وفي تفسير الفخر الرازي: "بقوله: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} أي من جاهد بالطاعة هداه سبل الجنة {وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ} إشارة إلى ما قال: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ} فقوله: {لَنَهْدِيَنَّهُمْ} إشارة إلى الحسنى وقوله: {وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ} إشارة إلى المعية والقربة التي تكون للمحسن زيادة على حسناته، وفيه وجه آخر حكمي وهو أن يكون المعنى {وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا فِينَا} أي الذين نظروا في دلائلنا {لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ} أي لنحصل فيهم العلم بنا".

كما أنّ هناك آيات أخرى عديدة يفهم منها معاني الجهاد بغير القتال.

فمما تقدم نفهم أن المقصود بـ "الجهاد" في هذه الآيات الثلاث، هو جهاد الحجة والبرهان والإقناع والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى بالكلام المقنع مما جاء به القرآن الكريم، وبطاعة الله وبالعمل الصالح وبالأخلاق والسلوك حسب تعاليمه.

معاني الجهاد

لم ترد في القرآن الكريم كلمة "الجهاد" كاسمٍ معرّف بأل ولكن وردت كمصدر في عدة مواضع بالإضافة إلى فعل "جاهد"، بصيغ الماضي والمضارع والأمر، وجهد وبعض مشتقاته.

في معاجم اللغة

لغةً، الجهاد مصدر جاهد، يقال: جاهَدَ مُجاهَدة وجِهادًا. وفي لسان العرب: "الجَهْدُ والجُهْدُ: الطاقة، تقول: اجْهَد جَهْدَك؛ وقيل: الجَهْد المشقة والجُهْد الطاقة. الليث: الجَهْدُ ما جَهَد الإِنسان من مرض أَو أَمر شاق، فهو مجهود؛ قال: والجُهْد لغة بهذا المعنى. والـجِهاد: الـمبالغة واستفراغ الوسع فـي الـحرب أَو اللسان أَو ما أَطاق من شيء".

وفي الصحاح في اللغة: "وجاهَدَ في سبيل الله مجاهدةً وجهادًا. والاجتهادُ والتَجاهُدُ: بذل الوُسعِ والمجهودِ".

"وفي مقاييس اللغة: يقال جَهَدْتُ نفسي وأجْهَدت والجُهْد الطَّاقَة. قال الله تعالى: {والَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إلاَّ جُهْدَهُمْ} (التوبة 79)".

في معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم

"الجَهد والجُهد: الطاقة والمشقة، وقيل: الجهد بالفتح: المشقة، والجُهد: الوسع.

وقيل: الجُهد للإنسان، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ} [التوبة/79]، وقال تعالى: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ} [النور/53]، أي: حلفوا واجتهدوا في الحلف أن يأتوا به على أبلغ ما في وسعهم. والاجتهاد: أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمل المشقة، يقال: جهدت رأيي وأجهدته: أتعبته بالفكر، والجهاد والمجاهدة: استفراغ الوسع في مدافعة العدو، والجهاد ثلاثة أضرب:

"- مجاهدة العدو الظاهر.

"- ومجاهدة الشيطان.

"- ومجاهدة النفس.

"وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ} (الحج/78)، {وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ} (التوبة/41)، {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ} (الأنفال/72)... وأخرج أحمد في المسند 6/22 عن فضالة بن عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل)؛ وأخرجه الترمذي في الزهد 4/165 وفي الجهاد برقم (1621) وقال: حسن صحيح؛ وأخرجه أبو داود في الجهاد برقم (2500)). والمجاهدة تكون باليد واللسان، قال صلى الله عليه وسلم: (جاهدوا الكفار بأيديكم وألسنتكم) (الحديث أخرجه ابن حبان برقم (1618) وصححه؛ والحاكم 2/81 ووافقه الذهبي، وصححه النووي أيضا في رياض الصالحين ص 515؛ وأخرجه أبو داود في الجهاد، ورقمه (2504)؛ والنسائي 6/7؛ وأحمد 3/124، وانظر شرح السنة 12/378؛ والفتح الكبير 2/62)([7])".

وكما أن ليس كلُّ جهادٍ قِتالًا كذلك ليس كل قتالٍ قتلا. ففي لسان العرب: "وقوله تعالى: قاتَلهم الله أَنَّى يؤفَكُون؛ أَي لَعَنَهم أَنَّى يُصْرَفون، وليس هذا بمعنى القِتال الذي هو من المُقاتلة والمحاربة بين اثنين. وقال الفراء في قوله تعالى: قُتِل الإنسان ما أَكْفَره؛ معناه لُعِن الإنسان، وقاتَله الله لعَنه الله؛ وقال أَبو عبيدة: معنى قاتَلَ الله فلانًا قَتَله. ويقال: قاتَل الله فلانًا أَي عاداه. وفي حديث المارّ بين يدي المُصَلِّي: قاتِلْه فإِنه شيطان أَي دافِعْه عن قِبْلَتِك، وليس كل قِتال بمعنى القَتْل. وفي حديث السَّقِيفة: قَتَلَ الله سعدًا فإِنه صاحب فتنة وشرٍّ أَي دفع الله شرَّه كأَنه إِشارة إِلى ما كان منه في حديث الإِفْك، والله أَعلم؛ وفي رواية: أَن عمر قال يوم السَّقِيفة اقْتُلوا سعدًا قَتَله الله أَي اجعلوه كمن قُتِل واحْسِبُوه في عِداد مَنْ مات وهلك، ولا تَعْتَدُّوا بمَشْهَده ولا تُعَرِّجوا على قوله.

"وفي حديث عمر أَيضًا: مَنْ دَعا إِلى إِمارة نفسِه أَو غيره من المسلمين فاقتلوه أَي اجعلوه كمن قُتِلَ ومات بأَن لا تَقْبَلوا له قولًا ولا تُقِيموا له دعوة، وكذلك الحديث الآخر: إِذا بُويِع لخَلِيفتين فاقتلوا الأَخير منهما أَي أَبْطِلوا دعوته واجعلوه كمَنْ قد مات".

فيكون القتال إذًا: بالقتل واللعن والعِداء والمدافعة وبدفع الشر وبالإهمال (اعتبار الشخص كأنه غير موجود).

تعريف الجهاد في سبيل الله:

وعليه يمكننا تعريف "الجهاد في سبيل الله" بأنه كلُّ ما يقوم به المسلم، بماله أو بنفسه، قولًا وكتابةً وعملًا، في سبيل إعلاء دين الإسلام، وطائعًا الله، تعالى، في كلّ ما أمره به في القرآن الكريم وبالصدق والسلوك الحسن والإخلاق الحميدة.

أقسام الجهاد:

وفي رأينا يُقسم هذا الجهاد إلى قسمين، دائم ومرحلي:

الجهاد الدائم:

ويكون على نوعين: جهاد النفس وجهاد المال:

جهاد النفس:

وهو في أن يجْهَد المسلم ليكون مسلمًا حقًّا وبكلِّ ما للكلمة من معنًى، حسب تعاليم دينه بحذافيرها، كما جاءت في القرآن الكريم، لا في أداء الفرائضِ فقط بل الأهم في السلوك القويم والأخلاق الحميدة والأمانة وإتقان العمل، صادقًا مع نفسه ومع الآخرين، مسلمين كانوا أم غير مسلمين، كما أمره الله، عزّ وجلّ، ومن دون تعقيدٍ أو تزمّتٍ أو مغالاةٍ أو تعصّبٍ. وفي الحديث الشريف: "الخُلُقُ الحسَنُ نصف الدين". وبطاعة الله، تعالى في ما حرَّمه، وبالعمل الصالح: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُون} (سورة النحل: آية 97)

{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ} (فصلت 46)

وفي حال تمَّ هذا فإننا نراه يجعل المجتمعات الإسلامية صالحةً خاليةً من أيّ نوع من أنواع الفساد البشري والبيئي.

أما في المجتمعات المختلطة فيصبح المسلم مِثالَ الإنسان القويم والمواطِن الصالح فيثيرُ إعجاب غير المسلم وقد يوصله، هذا الإعجاب، ليس إلى التشبه بذاك المسلم وحسب بل أيضًا إلى اعتناقِ دينه. وهكذا يكون هذا المسلم قد ساهم في إعلاء كلمة الله التي هي دين الإسلام.

وهذا في رأيي هو الجهاد الحقّ والأكبر والأرقى والأسمى المطلوب من المسلمين عامةً.

أما جهاد "العلماء والمتعلمين"([8])، فيكون، بالإضافة إلى ما تقدم، في تعليم وتثقيف وتوجيه وتوعية العامة بجميع الوسائل بما فيها الكتب، بجميع أشكالها، والأفلام السينمائية والتمثيليات المسرحية وما شابه هذا كله وبأشكاله المختلفة. ومنه أيضًا، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أمر تعالى في القرآن الكريم، من دون إكراه أو تنفير وبعيدًا عن الغايات الشخصية والخاصة. وفي عدم السكوت عن ظلم وجور الحُكّام. وفي الحديث الشريف: "أفضل الجهاد كلمة حقٍّ عند سلطانٍ جائر".

جهاد المال:

وهذا واجبُ على المقتدرين كلٌّ حسب إمكاناته {لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا} (البقرة 286). ويكون باستثمار أموالهم لإيجاد فرص العمل وبالصدقات ومساعدة المحتاجين وبدعم المجاهدين. وهذا لا يعني فقط الذين يقاتلون في سبيل الله؛ بل كلّ من كان عمله أو قوله جهادًا، كما أوضحنا في الفقرة السابقة، من أولئك العلماء والمتعلمين، كمن يحتاج منهم إلى المال لإتمام عمله، كتأسيس المدارس ونشر الكتب القيمة والأعمال الفنية الصالحة... {مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (البقرة 261)، {الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواُ مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة 262).

الجهاد المرحلي أو الآنيّ وشروطه:

وهو ما نراه محصورًا بالقتال فقط، وقد حدد القرآن الكريم شروطه، التي نستخلصها من آياته ومنها:

{وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ*} (البقرة 190)

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ *} (التوبة 123).

{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ *(الحج 39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ *} (الحج 40)

{لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ *(الممتحنة 8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ*} (الممتحنة 9)}.

فخلاصة هذه الشروط:

أولًا: أن يكون القتال في سبيل الله، أي لإعلاء كلمة الله، التي هي دين الإسلام.

ثانيًا: وأن يكون بوجه من يقاتل المسلمين في دينهم.

ثالثًا: وأن يكون بوجه من يُخرج المسلمين من ديارهم.

رابعًا: أن لا يكون اعتداء على أحد كائنًا من كان، بل هو لدرء الاعتداء فقط. أي دفاعًا عن النفس.

خامسًا: أن يدعو إلى هذا القتال من كان ذا صلاحية. وبالرجوع إلى قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} (النساء 59). ونفهم من هذه الآية أن الأمر الفصل هو بيد الله تعالى بما أنزله على رسوله الكريم الذي له وحده الحق في الدعوة

إلى القتال ما دام حيًّا. أما أولو الأمر فهم الذين يختارهم عموم المسلمين عملا بقوله تعالى: {وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ..} (الشورى 38) وتبقى صلاحيتهم مقيدة بما أمر به تعالى على لسان الرسول (ص). ولا أرى صفة "أولي الأمر" هذه تنطبق سوى على الخلفاء الراشدين فقط لأنهم هم وحدهم الذين تولوا بالشورى.

الفصل الثالث

لا قتال بعد وفاة النبي (ص)

مما يؤسف له أن كثيرين **<u>يظنون</u>** أن الله تعالى يأمر بقتالِ غير المسلمين حتى يعتنقوا الإسلام، وخاصة بعد ما رأوه من الأعمال الإجرامية التي ترتكبها منظمات وتنظيمات وجبهات باسم الإسلام، يترأس كلًّا منها "ملتحٍ يدعي الإمامة أو الخلافة"، مبررين ذلك بآياتٍ من القرآن الكريم إما مجتزأة أو من دون ذكر آيات أخرى ترتبط بها موضوعيًّا وتوضح المعنى المقصود من تلك الآيات. فمعظم الموضوعات التي وردت في القرآن الكريم، كما أوضحنا سابقًا في هذا البحث، لم تأتِ في آية واحدة ولا سورة واحدة. والأشدُّ خطرًا من تلك المنظمات والجبهات هم بعض "أصحاب العمائم" الذين نصَّبوا أنفسهم "حماة" لله ودينه الحنيف، وراحوا يتحفوننا بفتاويهم العجيبة أو المغرضه، من دون أن يعيروا انتباهًا أو اعتبارًا لما يقوله الفقهاء والعقلاء من المشايخ وغيرهم. وبما أن لا كهنوت في الإسلام، فهذه الهيئات ودور الفتوى التي نراها هنا وهناك، لا تشكل مرجعية لها عليهم سلطة، بكل معنى الكلمة، كما هي الحال عند إخواننا المسيحيين، تحدُّ من مغالاتهم بما يشوه صورة الإسلام الحقيقي السمح.

والمُلفت أيضًا، أن كثيرين من أولئك "الظانين" هم مسلمون "مؤمنون"، ويصنفون أنفسهم في فئة المتعلمين والمثقفين لأنهم من حملة الشهادات العليا. حتى أنني سمعتُ بعضًا منهم يطالب بإصلاح دينهم، كما أشرت سابقًا، قائلين حبذا لو تُحذف، من القرآن الكريم، تلك الآيات التي "يظنّون" أنها تأمر بدوام قتل غير المسلمين.

فلو كلّف هؤلاء "المتعلمون المثقفون" أنفسهم باعتماد أبسط قواعد المنطق السليم لما وصلوا إلى "قناعتهم" هذه. فما داموا يؤمنون بالله تعالى وبأن القرآن كلامه المنزل، ويؤمن معهم ما قد يزيد

عن العشرين في المائة من البشر فلِما لم يطرحوا على أنفسهم هذا السؤال البسيط: هل من الممكن أن يناقض الله نفسه، وهو خالق الأكوان وواضع سنن وقوانين الحياة والوجود التي تحكم سير هذه الأكوان وما فيها بهذه الدقة اللامتناهية؟

"{أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ} يتأملون {الْقُرْآنَۚ} وما فيه من المعاني البديعة {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَافًا كَثِيرًا} تناقضا في معانيه وتباينا في نظمه (النساء 82)([9])".

فبالمنطق نقول:

1: كيف يُحرِّمُ الله القتل وفي الوقت عينه يأمرنا بقتال وقتل غير المسلمين؟ وفي القرآن الكريم ما يزيد عن خمسٍ وعشرين آية تؤكد هذا التحريم([10]). نذكر منها:

{قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (الأنعام 151)

{وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا} (الإسراء 33)

{وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا} (الفرقان 69).

2: وكيف ينهى تعالى عن الإكراه في الدين وفي الوقت عينه يأمر بقتال غير المسلمين حتى يدخلوا الإسلام؟ وهو القائل:

{لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (البقرة 256)

ثم يخاطب نبيه الكريم قائلا: {وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ} (يونس 99).

3: كيف يكون تعالى "الرحمن الرحيم" والذي "كتب على نفسه الرحمة"، كما في قوله: {قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} (الأنعام 12)، ثم يأمر بالقتل؟ وهل أحصى أحدكم يومًا عدد المرات التي يقول فيها، في اليوم الواحد، "بسم الله الرحمن الرحيم"؟ وسورة "الفاتحة" التي يتلوها المُصلِّي في بداية كل ركعة من صلواته الخمس، أي سبع عشرة مرة في اليوم الواحد، ألا تقول آياتها الثلاثُ الأولى: {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ* الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ}؟ ثم ألم يتكرر وصفه تعالى في القرآن الكريم بـ "الرحمن"، و"الرحيم" عشرات المرات؟([11]) ولا ننسى أن هاتين الصفتين هما من أسمائه الحسنى، وأن مائة وثلاث عشرة من سور القرآن الكريم المائة والأربعة عشر نبدأ تلاوتها بعبارة: "بسم الله الرحمن الرحيم". وهل منا من يؤمن أو يعتقد أو يفهم أنّ في القتل رحمة؟ ولا ننسى أيضًا أن "السلام" هو أحد أسماء الله الحسنى، وأن كل مسلمٍ يقول: "إن تحية الإسلام السلام"، وهل يكون السلام بالقتال الدائم بين البشر؟

4: ثم ألا يقول لنا: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (الحجرات 13)؟ قال: "لتتعارفوا" ولم يقلْ: "لتتقاتلوا" أو "ليذبح" بعضكم بعضًا. وأين قول النبي (ص) الذي كثيرًا ما يتغنى به كثُرٌ من أولئك "الظانين": "بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق"، فهل يكون هذا بالقتل؟

5: ولنتذكر دومًا قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (الحج 17). وبالتالي هو لم يكلِّفْ أحدًا منا، ولا حتى رسوله الكريم، بمحاسبة الآخرين فيما يؤمنون به، بل حصر هذا الأمر به وحده. وفي القرآن الكريم آياتٌ عديدة تضمن للناس حرية الاعتقاد([12])، نكتفي منها بالآيتين التاليتين اللتين يخاطب تعالى فيهما نبيه الكريم، بالإضافة إلى الآية (99 يونس) المذكورة في الفقرة (2) آنفًا:

{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ} (108 يونس)

{إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ} (الزمر 41)

6: ونعود لنُذكِّر أصحاب الغايات بقوله تعالى: {هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ} (آل عمران 7)

7: يقول كثيرٌ من المفسرين بأن أول ما نزل من الآيات في موضوع القتال كان: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ *(39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ *(40) (الحج)} وهذا يعني أنه تعالى سمح للنبي وصحبه الذين أوذوا وأُخرجوا من ديارهم، بالقتال لاسترداد حقوقهم وهذا من قبيل الدفاع عن النفس الذي تقره الشرائع والقوانين بمجموعها. والإذن يكون عادة لفترة محددة، وإذا طالت هذه الفترة فستنتهي حُكمًا مع وفاة من أُذِنَ له. ومن نصوص تلك الآيات نرى أن الأمر فيها كان بيد النبي (ص)، فستنتهي بالتالي فترة هذا الإذن بوفاته (ص). ثم لو أن القرآن الكريم قد أباح قتال غير المسلمين، كما يدعي بعضهم، فهل كان النبي (ص) وأصحابه بحاجة لهذا الإذن كي يقاتلوا مشركي قريش وحلفاءهم؟

فالمشكلة إذًا تكمن فينا نحن، يا سادة، وفي عدم فهمنا الصحيح لِكُنْهِ ومضمون ما ورد في القرآن الكريم.

لا قتال بعد وفاة النبي (ص)

وإذا كنتُ لم أعِرْ في السابق انتباهًا لأمر تلك الآيات، التي أشكَلَ فهم المقصود منها على كثير من الناس، فلأنني كنت ولم أزل متأكدًا من أن الآيات التي تحرِّمُ القتل واضحةٌ وضوح شمس النهار النقية سماؤه. ولكن بعدما تفاقم إبرازهم لتلك الآيات بأنها من تعاليم الإسلام الدائمة، سواء كان ذلك عن عدم معرفة أم عن عمد وقصد، وبعد أن قرأت أو سمعتُ مراتٍ عديدة اتهام بعضهم "إله المسلمين" بأنه "دمويٌّ وقاتلٌ وذبَّاحٌ"، عندها أعدت التعمق في دراسة تلك الآيات فتوصلت إلى ما يلي:

أولًا: إنَّ الآيات التي تحدثت عن القتال والقتل مدنيةٌ في مجموعها، أي أنها نزلت على النبي بعد هجرته هو ومن آمن برسالته، من مكّة إلى المدينة، التي كانت تعرف يومها بـ "يثرب". وهذا مما أوضحناه في الفصل الخامس لاحقًا.

ثانيًا: يجمع المؤرخون على أن تلك الهجرة كانت قسرية إذ أن أشراف قريش، لما رأوا أعداد من آمنوا برسالة النبي (ص) تتزايد لا بين مستضعفي مكة وحدهم بالرغم مما مارسوه عليهم من الأذية والتعذيب والظلم، أو حتى بين أشرافها فقط، بل بين سائر القبائل العربية أيضًا، أيقنوا أن الخطر على مكانتهم أصبح عظيمًا وداهمًا، بل ووشيك القضاء عليها، فاتخذوا قرارهم بقتل النبي. وتُحدثُنا كتبُ التاريخ بالتفصيل كيف هاجر المؤمنون سرًا وتباعًا إلى المدينة، بناء على رأي النبي، هربًا من ظلم قريش وبطشهم، وبعدما تعهد مسلمو المدينة باستقبالهم وحمايتهم ونصرتهم. كما تُحدثنا عن هجرة النبي بعدهم وعن نجاته هو وأبو بكر، ممن كانوا يقتفون أثرهما بغية قتلهما، بعدما فشلت محاولتهم قتله في مضجعه لمَّا تبين لهم أن الإمام عليًّا هو من كان نائمًا، بدلًا عنه، في فراشه.

ثالثًا: بعد وصول النبي إلى المدينة بدأ تأسيس الدولة. وأول وأهم واجبات ومهام الدولة حماية مواطنيها من أي خطرٍ، خارجيًا كان أم داخليًا. وقد كان يسكن في المدينة أيضًا يهود من بني قينقاع، وقريظة، والنضير، وغيرهم وكان اليهود قد أظهروا له العداوة والبغضاء "لأنهم كانوا ينتظرون نبيًّا يأتي من سلالة إسحق لا من سلالة إسمعيل، الذي هو حال "محمدٍ". فكان على النبي (ص) إذًا أن يجهز المقاتلين لدرء الأخطار من الخارج والداخل. وبالإضافة إلى هؤلاء، ما لبثت أن ظهرت أيضًا بين المسلمين فئة المنافقين.([13])

رابعًا: يُجمع المؤرخون أيضًا، على أن الرسول (ص)، منذ بدء بعثته وحتى الهجرة إلى المدينة، في العام 622م، وكما أشرنا إليه في بداية الفصل الثاني، لم يقاتل ولم يُكره أحدًا، على الدخول في الإسلام، بل كان الأمر مقتصرًا على التبشير والإنذار، على الرغم مما تعرض له من أذى من قريش. وقد كان تعالى ينزل عليه الآيات التي تدعوه إلى الصبر، ومنها قوله: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ([14]) لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ} (الأحقاف: 35). كما كان يقصّ عليه من أنباء المرسلين والأنبياء الذين بعثوا قبله ليثبت به فؤاده.

ولكن لما ازداد طغيان أهل مكة اضطرَّ مرغمًا، هجْرَ داره وبلده بعد أن ائتمروا على قتله، فأصبحوا بالتالي هم البادئين بالاعتداء عليه وعلى المسلمين أيضًا الذين خرجوا من ديارهم هربًا من الظلم. فكان أن أذِن الله له ولمن هاجر معه، بعد تلك الهجرة، بقتال مشركي قريش بقوله، في الآيتين المذكورتين سابقًا: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحج: 39، 40). ثم أمرهم بقتال من يقاتلهم شرط ألا يكونوا البادئين بالاعتداء، في قوله: {وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ*} (البقرة 190).

كما لم يكن الرسول يتعرض إلا لقريش من دون سائر العرب. فلما تمالأ على المسلمين غيرُ أهل مكة من مشركي العرب، واتحدوا عليهم مع الأعداء، أمر الله بقتال المشركين كافة، ودومًا بألا يكونوا هم البادئين، بقوله في سورة التوبة: {وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ*} (التوبة: 36).

خامسًا: وبالعودة إلى الآية (39) من سورة الحج، المذكورة آنفًا، والأشهر، حسب كثير من المفسرين، أنها أول آية نزلت في القتال بعد الهجرة والتي تبدأ بالقول: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا} فلو كانت تعاليم القرآن، كما أشرنا سابقًا، تسمح بالقتال أو بالقتل، كما يزعمون، فهل كان النبي ومن معه يومها، بحاجة إلى الإذن بقتال مشركي قريش ومن معهم؟

سادسًا: وفي كتب التاريخ، أيضًا أن النبي (ص) بعدما استقر في المدينة في العام 622م، أجرى عَقدًا مع سكانها من غير المسلمين، ومن اليهود خاصة، سُمي بـ "صحيفة المدينة"، التي نصت على أن لليهود دينهم وللمسلمين دينهم وهم أحلاف إذا حوربوا، وألا يغدر بعضهم بالآخر ولا يُحَارِبه ولا يؤذيه، ولا يعين أحدُهم عليه أحدًا، وإن دهمَهُ بالمدينة عدوٌ ينصرونه. وعلى الرغم من هذا العقد فقد حاول اليهود قتل النبي مرتين، ومنهم من قال: ثلاث. ولما فشلوا في ذلك نقضوا عهدهم غير مرة وحالفوا أعداءه في معركتي بدر وأُحُد وفي غزوة الخندق([15])

فلما وجد المسلمون من اليهود خيانة للعهود بمساعدتهم المشركين في حروبهم، بدل نصرتهم حسبما نصت عليه "صحيفة المدينة"، أمر الله بقتالهم بقوله للنبيّ: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ

إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ*}([16]) (الأنفال: 58). فقاتلهم، قبيلة بعد أخرى، ثم طردهم من أرض الحجاز كلها لأنهم خانوه فعلًا.

وهذا صاحب كتاب "نور اليقين في سيرة سيد المرسلين"([17])، يوجز لنا الوضع كما يلي:

"وصار قتال رسول الله للأعداء على هذه المبادئ
الآتية:

"1- اعتبار مُشركي قريش معتدين لأنهم بدأوا بالعدوان فصار للمسلمين حقُّ قتالهم ومصادرة تجارتهم حتى يأذن الله بفتح مكة أو تعقد هدنة وقتية بين الطرفين. {وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ*} (التوبة: 36).

"2- متى رُئِيَ من اليهود خيانة وتحيّز إلى المشركين قوتلوا وحتى يؤمن جانبهم نُفي من لم يُقتل. {وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ
يَنتَهُونَ *} (التوبة 12)

"3- متى تعدّت قبيلة من العرب على المسلمين أو ساعدت قريشًا قوتلت حتى تدين بالإسلام.

"4- كل باديءٍ بعداوة من أهل الكتاب قُوتل حتى يذعن بالإسلام أو يعطي الجزية عن يدٍ وهو صاغر.

"5- كل من أسلم فقد عصم دمه وماله إلا بحقه، والإسلام يقطع ما قبله. {فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ *} (التوبة 11)"

سابعًا: أما عن بعض ما جرى إبّان تلك الحروب، فيقول فيه العلامة السيد علي الأمين، تحت عنوان "الحروب الدفاعية وقوانينها"، ما يلي:

"وعلى هذه الأسس القرآنية من المودة والبرّ والقسط يجب أن تكون العلاقات مع الآخر المختلف في الدين والعقيدة. وعليها أيضًا يقوم فهمنا لمسألة الحروب التي وقعت في عهد رسول

الله (ص) والتشريعات الواردة فيها كالجزية واتخاذ النساء والرجال غنائم حربٍ واعتبارهم من الأشياء التي يملكها الإنسان. فإنها من الأحكام الظرفيّة التي فرضتها قوانين الحرب التي كانت سائدة في المجتمع البشري قبل الإسلام، وما ورد فيها من ثبوت الجزية وغيرها من أحكام قتالية هو حُكمٌ مختصٌّ بالمحاربين الذين أعلنوا الحرب، وليس حكمًا شاملًا لكل المختلفين في الدين، فلا يثبت الحكم المذكور وغيره من أحكام الحرب على كلّ أهل الكتاب وغيرهم ممن لم يكونوا شركاء في الحرب كما تدلّ عليه الآية المباركة التي أَخرجت عن عموم تلك الأحكام الذين لم يقاتلوا المسلمين في الدين ولم يُخرجوهم من ديارهم. ومما يدلُّ على اختصاص الحرب بالأسباب الدفاعية وأنها خاصّة بالذين اختاروا إشعال نارها قول الله تعالى: {وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ*}([18]) وقوله تعالى: {وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ*}([19]) فالحرب في الإسلام ليست كما يظنها البعضُ حربًا على كلّ من خالف المسلمين في العقيدة! فإنّ هذا الظنّ لا يتفقُ مع ما سبق ذكره من آيات ولا مع غيرها كقوله تعالى: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}([20]) {وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ...}([21]) وقوله تعالى: {وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ}([22]).

"ولذلك يقال بأنّ بعض ما ورد في كتب السيرة عن بعض الوقائع وما سُمّيَ بالغزوات لا يمكن أن نفهمها ونقبل ببعض ما رُويَ عن جريانه فيها بمعزلٍ عن القرآن الكريم باعتباره المصدر الأول لتلك الأحكام التي كان الرسول مؤتمنًا على تبليغها وتطبيقها.

"وقد انتفت بعض تلك الأحكام فيما بعد من المجتمعات الإسلامية لانتفاء موضوعها. فلم يبقَ هناك من عبيدٍ ولا إماء. وليس هناك من جزية على أهل الكتاب وغيرهم سوى الضرائب التي يدفعها المواطنون للدولة. وهي كما أسلفنا لم تكن ثابتة على أهل الكتاب وغيرهم من الذين لم يدخلوا الحرب. وإنّما كانت على الفئة التي دخلت الحرب وطلبت بعدها الصلح فتفرضُ عليها الجزية، وهذا خِلافًا لما يظهر من الفقهاء في أبحاثهم الفقهيّة التي لم تأخذ بنظر الاعتبار ظروفَ الحربِ وأسبابَها الموضوعية وأطرافَها ومقاصِدَها التي يظهر منها انحصارُها بالدفاعية.

"والحاصل أنّ قوانين الحرب وأحكامها ينبغي أن نفهمها على ضوء آياتِ القرآن الكريم التي تشكلُ المرجع الأساس لأخبار السيرة وغيرها.

"وقد تطورت النظرة إلى مواطني الدولة الإسلامية كما يظهر من اعتبارهم جُزءًا من الرعية متساوين مع غيرهم من المواطنين في المحافظة على حقوقهم كما جاء في عهد الإمام عليّ عليه السلام إلى مالك الأشتر عندما ولّاه على مصر التي تجمع بين المسلمين والمسيحيين حيث جاء فيه:

"(... وأشعِرْ قلبك الرحمة للرعيّة والمحبّة لهم والعطف عليهم واللطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سبعًا ضاريًا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان، إمّا أخٌ لك في الدين، وإمّا نظيرٌ لك في الخلق) "([23]).

فمما تقدم ومن القراءة المعمقة للآيات التي تدعو، كما يزعمون، إلى القتال، ومن أقوال بعض المفسرين ومن أسباب نزولها ومن كانت تخاطب، (كما بيّنّا في الفصل الخامس) نرى أنها في مجموعها مخصصةٌ لتلك الحقبة من الزمن، التي شهدت القتال بين المسلمين من جهة والمشركين ومن ناصرهم من القبائل ومن اليهود من جهة أخرى، من بعد الهجرة إلى المدينة وحتى فتح مكة، في العام 8هـ الموافق 630م، حين خاطب الله تعالى نبيه الكريم: في سورة النصر: {إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ *(1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا *(2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا *(3)}.

وفي تفسير الآية الأولى من سورة النصر: {إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} يقول الجلالان بأن "الفتح" هو فتح مكة، والذي يحدده في شهر رمضان من السنة 8هـ (630م). وفي تفسير القرطبي، والنسفي، والفخر الرازي: أن "الفتح هو فتح مكة".

ثم لماذا أتبع تعالى قوله لنبيه الكريم: {إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} بقوله: {وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا*} (النصر 1 - 3)؟ يكاد يُجمع المفسرون على أنه نعيٌ لروح النبي (ص). ولكن ألا يجوز أن يكون فيه إشارة على انتهاء القتال، عندما يأمره بالتسبيح بحمده، عز وجل، بعد النصر ودخول الناس في الإسلام أفواجًا؟ ومن عادات المسلم، المتوارثة بالتواتر، أن يحمد الله كلما فرغ من عملٍ ما. ثم يأمره بالاستغفار، أفلا يجوز أن يكون هذا الاستغفار عن أخطاءٍ ارتُكِبتْ في أثناء تلك الحروب التي كان النبي (ص) قائدها؟

ولكن على الرغم من النصر الذي أحرزه النبي (ص) والمسلمون بفتح مكة، ودخول قريش وكثير من القبائل في الإسلام، فقد استمرت قبائل أخرى على عدائها للنبي (ص) ولم تتوقف عن

محاربته، ومنها هوازن التي حاولت مهاجمته فكانت بينهما معركة حُنين التي انتصر فيها المسلمون. وبعدهم بنو ثقيف الذين حاصرهم في الطائف. إلى أن انتهت ذيولها في العام التاسع، الذي سمي بـ "سنة الوفود" لكثرة من وفد على النبيَّ (ص) من سائر القبائل لإعلان إسلامهم.

وبذلك نرى أنَّ "الجهاد" بالقتال انتهى بعد انتهاء تلك الذيول، لتستمرَّ سائر أنواعه، ومن أهمها تحويل بلاد الإسلام من تجمعات قبلية تحكمها عادات وتقاليد جاهلية، إلى مجتمعٍ موحدٍ ذي أنظمة مستقاة من روح تعاليم الدين الجديد، {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (الأنفال 63). ولهذا كانت الحاجة، كما أشرنا سابقًا، إلى وضع النظم السياسية والاجتماعية التي كانت نواتها في المدينة في العام الأول من الهجرة. فراح يبعث عماله إلى أقطار الجزير العربية ثُم أرسى قواعد تلك النظم بمضمون خطبة الوداع. وبذلك كان تأسيس الدولة العربية وعاصمتها المدينة المنورة.

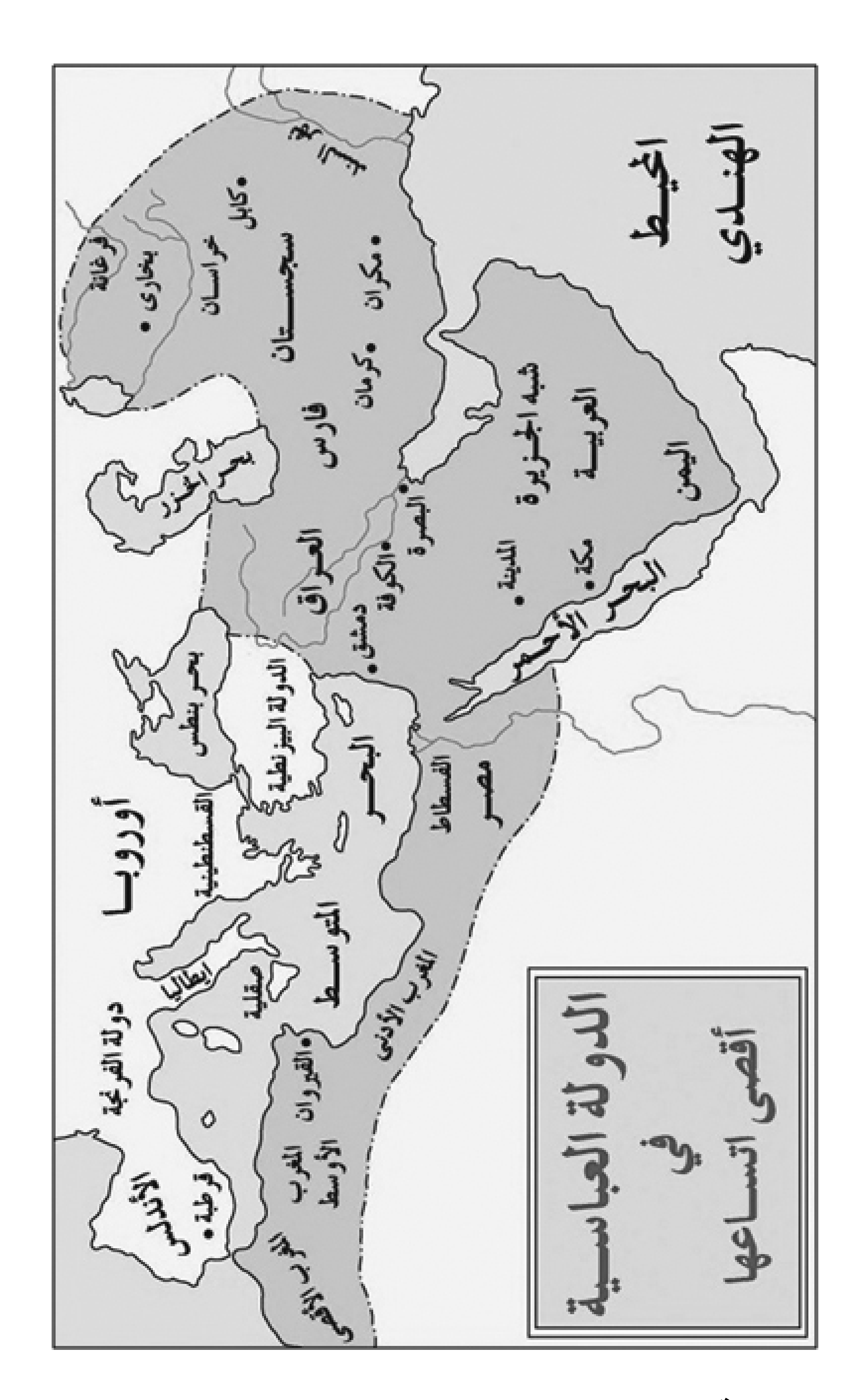
وقد أكد النبي (ص)، في خطبة الوداع، تحريم القتل بقوله:

"أيّها الناس إنّ دماءكم وأموالكم حرامٌ عليكم إلى أن تلقَوا ربَّكم، كحُرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟ اللهمّ فاشهد...

"... وإنّ دماءَ الجاهلية موضوعة([24]) وأوَّلُ دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث([25])، وإنّ مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية، والعَمْدُ قَوَدٌ([26])، وَشِبْهُ العَمْد ما قُتِل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية".

وبعد وفاة النبي (ص) وتولي أبي بكر الخلافة عمدت بعض القبائل إلى شقّ عصا الطاعة على عماله فمنها من رفض تأدية الزكاة ومنها من حاول مهاجمة العاصمة ومنها من أعلن ارتداده عن الإسلام للعودة إلى الحياة القبلية، بالإضافة إلى من ادعى النبوة. كلُّ هذا جعل أبا بكر، بصفته صاحب السلطة المركزية، أن يأخذ القرار بالقضاء على تلك الظواهر فكان ما سُمِّي بحروب "الرِّدّة"، وهي في رأينا نوع من الحروب الأهلية للقضاء على النزعة الانفصالية في دولة حديثة التأسيس، وهو شبيهٌ بما حصل في الولايات المتحدة الأميركية في القرن التاسع عشر عندما أعلنت بعض الولايات الجنوبية انفصالها عن الاتحاد.

بعد انتهاء هذه الحروب عمت سلطة الخليفة أراضي شبه الجزيرة العربية بكاملها مُنشئة دولة عربية فتية ما لبثت أن بدأت تعمل على مد سلطانها، وإن تحت راية الإسلام، على ما جاورها من البلدان، شأنها شأن سائر الدول الفتية القوية، إلى أن بلغت شرقًا حدود الصين وغربًا المحيط الأطلسي وشمالًا بحر قزوين (أو الخزر).



متى يجوز القتال قياسًا؟

سيعترض كثيرون على رأينا بأن آيات القتال مخصصةٌ للفترة الزمنية ما بين هجرة الرسول (ص) من مكة إلى المدينة ووفاته، قائلين بأن القرآن الكريم أنزل لجميع الأمكنة والأزمنة، وبالتالي تطبق أحكامه على مدى الدهر. بالتأكيد لا ننكر ذلك أبدًا، وعلى هذا الاعتراض نجيب بأنه يبقى فيه آياتٌ خاصة بالوقت الذي نزلت فيه، ومنها على سبيل المثال:

آيات سورة المسد[27]، الموجهة إلى أبي لهب، وهوعمُّ النبي (ص)، الذي مات بعد عدة سنوات من نزولها. فعلى من تطبق في أيامنا هذه؟

آيات سورة قريش[28]، التي تتكلم عن رحلتي قريش في الصيف والشتاء. فأين هي قريش ورحلتاها اليوم؟

الآيات الخاصة بنساء النبي (ص)، فعلى مَنْ مِنَ نساء اليوم تطبق أحكامها؟ {يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء...} (الأحزاب 32) وغيرها.

ومن هذا القبيل ومما استنتجناه بالتفصيل في الفصل الخامس من هذا البحث، نقول بأن آيات القتال أيضًا كانت خاصة بتلك الحقبة التي نزلت فيها.

أما إذا قال بعضهم بأنه يجوز تطبيق أحكامها قياسًا، فنقول: هذا جائز ولكنه يبقى مرتبطًا بتوفر الشروط التي بيناها في الفصل السابق، وهي:

أولًا: أن يكون القتال في سبيل الله، أي لإعلاء كلمة الله، بنشر دين الإسلام. وها نحن اليوم نرى أن ما يزيد عن خمس سكان العالم يعتنقون الإسلام من دون قتالٍ أو إكراه. ولا يزال عددهم في نماء. وما دامت الحروب التي نشهدها حاليًا ليست على دين الإسلام تحديدًا بالرغم من أنها تطال مسلمين، فهي تطال مسيحيين أيضًا، والتصدي لها لن يكون من قبيل الجهاد لإعلاء دين الإسلام. أما إذا كان بعض أصحاب الغايات يريدون إفناء المسلمين كافةً فليعلنوا الحرب، الخاسرة حتمًا، على أربعة أخماس بني البشر.

ثانيًا: أن يكون القتال بوجه من يقاتل المسلمين في دينهم. قد ينطبق هذا، جزئيًّا، على قتال الصهاينة، لتحرير فلسطين، وهم الذين لم يكتفوا بقتال أهلها بل عمدوا أيضًا إلى إخراجهم من ديارهم. ولكن على الرغم من مشروعية هذا القتال، إلا أنه سيكون في سبيل تحرير الأرض وعودتها إلى أصحابها، لا جهادًا في سبيل الله بكلِّ معنى الكلمة، لأن من قتلهم ولا يزال يقتلهم أولئك الصهاينة، ليسوا جميعًا مسلمين بل منهم الكثيرون من إخواننا المسيحيين. كما أن هدف أولئك الصهاينة هو احتلال أرض فلسطين لا الحرب على الإسلام كدينٍ ولا حتى على المسيحية.

ثالثًا: أن يكون بوجه من أخرج المسلمين من ديارهم. وهذا ينطبق عليه ما ذكرناه في الشرط السابق.

رابعًا: أن لا يكون اعتداء على أحد كائنًا من كان، بل لدرء الاعتداء على المسلمين ودينهم. فهل من دولة اليوم خاصة بالمسلمين وحدهم، فيما عدا دول شبه الجزيرة العربية؟ أليسوا يعيشون في دولٍ متفرقة مع إخوانٍ لهم على غير دينهم، وعلى أسسٍ مدنية؟

خامسًا: أن يدعو إلى هذا القتال من كان ذا صلاحية. فمن هو هذا الشخص حاليًّا؟ وأين أولو الأمر الذين أمرنا الله بطاعتهم بعد وفاة النبي (ص) والواجب أن يكون توليهم بالشورى؟ {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ..} (الشورى 38)، وإني أرى أن شرط "الشورى" هذا، كما سبق وأشرت، لم يتوفر سوى في الخلفاء الراشدين الأربعة، أما سائر الخلفاء سواء الأمويون أم العباسيون فقد تولوا الخلافة بالوراثة، ثم إنّ معاوية، أول الخلفاء الأمويين، تولاها عنوةً. ولو قلنا بأن الحكام يتولون حاليًا بالانتخاب، فليس للمسلمين دولة أو قيادة واحدة منتخبة تسوسهم، بل يعيش معظمهم في دولٍ عديدة وعلى أسسٍ قومية وبأنظمة مدنية، كما أشرنا في الفقرة ثانيًا السابقة... حتى في الأزمنة التي كان فيها لهم قائدٌ هو الخليفة، فقد كانت قرارات الخلفاء تنطلق من أسس مدنية اقتصادية لا دينية. أما أن ينفرد فلانٌ بهذه الدعوة لمجردِ أنه تشبّه بالنبي (ص) بالمظهر واللباس فهذا قمة الفوضى التي سيكون بنتيجتها إفناءُ المسلمين ودمارُ وضياعُ بلادهم جميعها.

اللهم فاشهد إني قد بلغت.

رأي ابن عمر

ونورد فيما يلي حكاية ابن عمر كما رواها ابن كُثير في سياق تفسيره للآية: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ*} (البقرة 193)، لعلها تزيد في إيضاح انتهاء الجهاد بالقتال بعد وفاة النبي (ص):

"قال البخاري: قوله: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ} الآية، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عبد الوهاب حدثنا عبيد الله عن نافع، عن ابن عمر قال: أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا: إن الناس ضيعوا وأنت ابن عمر وصاحب النبي صلى الله عليه وسلّم فما يمنعك أن تخرج؟ فقال يمنعني أن الله حرم دم أخي، قالا: ألم يقل الله {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ}؟ فقال: قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان

الدين لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة، وحتى يكون الدين لغير الله، وزاد عثمان بن صالح عن ابن وهب، أخبرني فلان وحيوة بن شريح عن بكر بن عمر المغافري، أن بكير بن عبد الله حدثه عن نافع، أن رجلًا أتى ابن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن ما حملك على أن تحج عامًا وتقيم عامًا وتترك الجهاد في سبيل الله عز وجل، وقد علمت ما رغب الله فيه؟ فقال: يا ابن أخي بني الإسلام على خمس: الإيمان بالله ورسوله والصلوات الخمس وصيام رمضان وأداء الزكاة وحج البيت. قالوا: يا أبا عبد الرحمن، ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه، {وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى ٱلاخْرَىٰ فَقَاتِلُوا ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ} [الحجرات:9] {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ} قال فعلنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلّم وكان الإسلام قليلًا، فكان الرجل يفتن في دينه إما قتلوه أو عذبوه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة".

الفصل الرابع
تهمة إكراه غير المسلمين
على اعتناق الإسلام

إن الحروب التي تلت نشوء الدولة العربية لم تكن لفرض دين الإسلام بالقوة على رعايا البلاد التي احتلتها، كما يحلو لبعضهم اتهامها به، وخاصة عندما يصنفونها بـ "الجهاد" أو "الحروب المقدسة"، إذ تخبرنا كتب التاريخ بأن أهم أسباب تلك الاحتلالات كانت اقتصادية. وقد قيل فيها: "لم يعرف العالم مستعمرًا أرحمَ من العرب". وهذه بعض الشواهد التي تدحض تهمة إكراه أبناء البلاد التي احتلوها، على اعتناق الإسلام:

أولًا: يقول "ستيفن نيل": "كانت هناك خسارة مستمرة في المعسكر النصراني بسبب اعتناق النصارى للإسلام، إلا أن أعجب ما في الفتوحات الإسلامية هو الخسارة القليلة جدًّا في الأرواح، والانهيار السريع جدًّا للحضارة النصرانية، ولقد بقي عدد كبير من النصارى على دينهم **إذ لم يشأ المسلمون لا إبادة النصارى، ولا تحويلهم كلهم بالقوة إلى الإسلام**، ولقد ارتقى عدد من النصارى إلى مناصب عالية في الدولة الإسلامية"([29]).

ثانيًا: لو كانت تلك التهمة صحيحةً لما رأينا اليوم مسيحيًّا أو يهوديًّا في العراق أو سوريا أو لبنان أو فلسطين أو الأردن أو حتى في مصر.

ثالثًا: لقد حكم العرب جزيرة صقلية، أكبر جزر البحر الأبيض المتوسط، لما يزيد عن المئة عام، وما زالت الأبنية التي أشادها العرب على أرضها تشهد على ذلك، بينما لا نجد اليوم بين أبنائها من يعتنق الإسلام.

رابعًا: كما حكموا أيضًا، أرمينيا نحو المائتين وخمسين سنة، فلو كانت تلك التهمة صحيحة لوجدنا بين الأرمن ولو نسبة ضئيلة ما زالت على الإسلام.

خامسًا: يؤكد المؤرخ، القبطي، يعقوب نخلة روفيلة([30]) بأن النسبة الكبرى من أبناء مصر بقيت على المسيحية ثمانمائة سنة بعد فتح مصر. وما زالت اليوم نسبة المسيحيين فيها بنحو العشرة بالمائة.

سادسًا: بقي العرب في إسبانيا نحو ثمانمائة سنة وعلى الرغم من ذلك لم يُكرهوا الإسبان بالقوة سواء على اعتناق الإسلام أم على التخلي عن لغتهم ليتحولوا إلى العربية، ولو حصل هذا لكانت إسبانيا اليوم دولة عربية مسلمة، ولكان نصف الكرة الأرضية أيضًا يتكلم العربية. كما أن اليهود الذين كانوا يعيشون فيها مع العرب آثروا الهرب معهم يوم طرد الإسبان آخر عربيّ من غرناطة في العام 1492، والتجأ قسم منهم إلى شمال إفريقيا والآخر إلى تركيا أيام الخلافة العثمانية. ولا حاجة لنا إلى التذكير بأن الإسبان، يوم سقطت غرناطة بأيديهم، أنذروا المسلمين واليهود أن عليهم، وفي غضون يومين، إما التحول إلى الكاثوليكية أو مغادرة أرض إسبانيا فورًا. وهذا ما اختارته الفئتان.

سابعًا: ثم لو كانت تعاليم الإسلام تقضي بمحاربة غير المسلمين وأفكارهم ومعتقداتهم لما عرف الغرب الفلسفة اليونانية وأرسطو وسقراط وأفلاطون وغيرهم، التي وصلت إليهم عن طريق العرب المسلمين. ولا ننسى أنّ معظم مترجمي أعمال هؤلاء الفلاسفة وغيرهم لم يكونوا مسلمي الديانة، نذكر منهم([31]):

- حنين بن إسحق المولود في العام 194هـ/810م. الذي ترجم أعمال جالينوس وأبقراط وأرسطو، وقد عينه الخليفة المأمون مسؤولا عن بيت الحكمة.

- وولده إسحق بن حنين (215-298هـ) (830-910م).

- وحبيش الأعسم أو حبيش بن الأعسم (هو حبيش بن الحسن الدمشقي) وهو ابن أخت حنين بن إسحق.

- وثابت بن قرة الحراني (211 - 288هـ)
(863 - 901م) ويلي حنين في الشهرة وهو من صابئة حران.

- ويوحنا بن البطريق (200هـ 805م.).

- وقسطا بن لوقا البعلبكي (205-288هـ/820 - 900)

ونشير إلى أن أبا العاص بن الربيع، زوج زينب ابنة النبي (ص)، بقي على شركه ومحاربة النبي (ص)، حتى العام السادس للهجرة، وعلى الرغم من ذلك لم يفرض النبي (ص) على ابنته أن تترك زوجها قبل إسلامه.

الفصل الخامس
آيات الجهاد وما هو خاص بالسنوات
العشر الأولى من الهجرة

نورد فيما يلي "آيات الجهاد" وأقوال بعض المفسرين فيها وأسباب نزولها لنتبين ما كان منها مخصصا لتلك الحقبة من الزمن، أي من بعد الهجرة إلى المدينة وحتى فتح مكة أو وفاة النبي (ص)، حيث كان القتال فيها مستعرًا بينه، هو ومن معه من جهة، وبين قريش والقبائل، ومن معهم من اليهود من جهة أخرى؛ وما هو موجه إلى جميع المؤمنين في جميع الأزمنة والأمكنة. وسنتبع في ذلك تسلسل ورودها في القرآن الكريم كما هو بين أيدينا اليوم.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من سورة البقرة (آياتها مدنية):

الآية (154 البقرة):

{وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ* (154)}

يقول ابن كثير: "يخبر تعالى أن الشهداء في برزخهم أحياء يرزقون، وإن كان الشهداء قد خصصوا بالذكر في القرآن تشريفًا وتكريمًا وتعظيمًا"([32]).

أسباب نزول الآية (154 البقرة):

يقول أبو الحسن النيسابوري في كتابه "أسباب النزول"([33]): «أخرج ابن منده في معرفة الصَّحابة من طريق السَّدي الصَّغير، عن الكلبي، عن أَبي صالح، عن ابن عباس قال: «قتل تميم بن الحُمَام ببدر، وفيه وفي غيره نزلت {وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ} الآية». قال أبو نعيم: اتَّفقوا على أنَّه «عُمير بن الحمام»، وأن السَّدي صحَّفه.»

وعليه تكون هذه الآية قد نزلت لمخاطبة المؤمنين إبّان حربهم مع المشركين قبل فتح مكة، لرفع معنوياتهم، ولتبين منزلة الشهداء سواء الذين سقطوا في تلك الحقبة أم في المستقبل. وتكريم الشهداء أمر يُقرِّه الجميع، ويعتبر شهيدًا كلٌّ من مات دفاعًا عن وطنه أو عقيدته أو عائلته... "والشهيدُ في الأَصل من قُتِلَ مجاهدًا في سبيل الله، ثم اتُّسِعَ فيه فأُطلق على من سماه النبي، صلى الله عليه وسلم، من المَبْطُون والغَرِق والحَرِق وصاحب الهَدْمِ وذات الجَنْب وغيرِهم، وسُمِّيَ شَهيدًا لأَن ملائكته شُهُودٌ له بالجنة" (لسان العرب).

الآيات (190-195 البقرة):

{وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ* (190) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ* (191) فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * (192) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ* (193) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ * (194) وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * (195)}

أسباب نزول الآية (190 البقرة):

"أَخرج الواحدي من طريق الكلبي عن أَبي صالح عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في صلح الحديبية، وذلك أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم لمَّا صُدَّ عن البيت هو وأصحابه، ثم صالحه المشركون على أن يرجع عامه القابل، فلما كان العام القابل تجهَّز هو وأصحابه لعمرة القضاء، وخافوا أَنْ لا تفي قريش بذلك، وأَن يصدُّوهم عن المسجد الحرام ويقاتلوهم، وكره أَصحابه قتالهم في الشهر الحرام، فأَنزل الله ذلك»([34]).

أسباب نزول الآية (194 البقرة):

"وأَخرج ابنُ جرير عن قتادة قال: أَقبل نبي الله صلى الله عليه وسلّم وأَصحابه فاعتمروا في ذي القعدة ومعهم الهَدي، حتَّى إذا كانوا بالحديبية صدَّهم المشركون، وصالحهم النَّبي صلى الله عليه وسلّم على أَن يرجع من عامه ذلك، ثمَّ يرجع من العام المقبل، فلما كان العام المقبل أَقبل وأَصحابَه حتى دخلوا مكة معتمرين في ذي القعدة، فأَقام فيها ثلاث ليال، وكان المشركون قد فخروا عليه حين ردُّوه يوم الحديبية فأقصَّه الله منهم، فأدخله مكة في ذلك الشهر الذي كانوا ردُّوه فيه، فأنزل الله {ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌۚ}"([35]).

وفي تفسير الجلالين للآيات (190-195 البقرة):

"190- ولما صُدّ صلى الله عليه وسلّم عن البيت عام الحديبية وصالح الكفار على أن يعود العام القابل ويُخلوا له مكة ثلاثة أيام وتجهز لعمرة القضاء وخافوا أن لا تفي قريش ويقاتلوهم وكره المسلمون قتالهم في الحرم والإحرام والشهر الحرام نزل {وَقَـٰتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ} أي لإعلاء دينه {ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ} من الكفار {وَلا تَعْتَدُوَا} عليهم بالابتداء بالقتال {إِنَّ ٱللَّهَ لا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ} المتجاوزين ما حدّ لهم. 191- {وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ} وجدتموهم {وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْۚ} أي من مكة وقد فعل بهم ذلك عام الفتح {وَٱلْفِتْنَةُ} الشرك منهم {أَشَدّ} أعظم {مِنَ ٱلْقَتْلِۚ} لهم في الحرم أو الإحرام الذي استعظمتموه {وَلا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ} أي في الحرم {حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِۖ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ} فيه {فَٱقْتُلُوهُمْۗ} فيه، وفي قراءة بلا ألف في الأفعال الثلاثة {كَذَٰلِكَ} القتل والإخراج {جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ}. 192- {فَإِنِ ٱنتَهَوْا} عن الكفر وأسلموا {فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ} لهم {رَّحِيمٌ} بهم. 193- {وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ} توجد {فِتْنَةٌ} شرك {وَيَكُونَ ٱلدِّينُ} العبادة {لِلَّهِ} وحده لا يعبد سواه {فَإِنِ ٱنتَهَوْا} عن الشرك فلا تعتدوا عليهم دل على هذا {فَلا عُدْوَٰنَ} اعتداء بقتل أو غيره {إِلا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ} ومن انتهى فليس بظالم فلا عدوان عليه. 194- {ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ} المحرّم مقابل {بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ} فكما قاتلوكم فيه فقاتلوهم في مثله، ردّ لاستعظام المسلمين ذلك {وَٱلْحُرُمَـٰتُ} جمع حرمة ما يجب احترامه {قِصَاصٌۚ} أي يقتص بمثلها إذا انتهكت {فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ} بالقتال في الحرم أو الإحرام أو الشهر الحرام {فَٱعْتَدُوا
عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْۚ} سمى مقابلته اعتداء لشبهها بالمقابل به في الصورة {وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ} في الانتصار وترك الاعتداء {وَٱعْلَمُوَا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ} بالعون والنصر. 195- {وَأَنفِقُوا في سَبِيلِ

ٱللَّهِ} طاعته الجهاد وغيره {وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ} أي أنفسكم، والباء زائدة {إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ} الهلاك بالإمساك عن النفقة في الجهاد أو تركه لأنه يقوي العدو عليكم {وَأَحْسِنُوٓا} بالنفقة وغيرها {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ} أي يثيبهم"([36]).

وفي تفسير ابن كثير للآيات (190-195 البقرة):

"قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية في قوله تعالى: {وَقَـاتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ} قال: هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة، فلما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقاتل من قاتله، ويكف عمن كف عنه، حتى نزلت سورة براءة، وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، حتى قال: هذه منسوخة بقوله: {فَٱقْتُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ} وفي هذا نظر، لأن قوله {ٱلَّذِينَ يُقَـاتِلُونَكُمْ} إنما هو تهييج وإغراء بالأعداء الذين همتهم قتال الإسلام وأهله، أي كما يقاتلونكم فاقتلوهم أنتم، كما قال: {وَقَـاتِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً} ولهذا قال في الآية: {وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ} أي لتكون همتكم منبعثة على قتالهم، كما همتهم منبعثة على قتالكم، وعلى إخراجهم من بلادهم التي أخرجوكم منها قصاصًا. وقد حكي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن أول آية نزلت في القتال بعد الهجرة {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا} وهو الأشهر وبه ورد الحديث.

وقوله: {وَلا تَعْتَدُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ لا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ} أي قاتلوا في سبيل الله، ولا تعتدوا في ذلك ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي، كما قاله الحسن البصري: من المثلة والغلول وقتل النساء والصبيان والشيوخ، الذين لا رأي لهم ولا قتال فيهم، والرهبان وأصحاب الصوامع، وتحريق الأشجار، وقتل الحيوان لغير مصلحة، كما قال ذلك ابن عباس وعمر بن عبد العزيز ومقاتل بن حيان وغيرهم، ولهذا جاء في صحيح مسلم، عن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم كان يقول: «اغزوا في سبيل الله وقاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الوليد ولا أصحاب الصوامع» رواه الإمام أحمد وعن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم إذا بعث جيوشه قال «اخرجوا باسم الله قاتلوا في سبيل الله من كفر بالله لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع» رواه الإمام أحمد، ولأبي داود عن أنس مرفوعًا نحوه، وفي الصحيحين عن ابن عمر قال: وجدت امرأة في بعض مغازي النبي صلى الله عليه وسلّم

مقتولة، فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلّم قتل النساء والصبيان... وقال أبو العالية ومجاهد وسعيد بن جبير

وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس في قوله تعالى {وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ}، يقول الشرك أشد من القتل، وقوله: {وَلا تُقَـاتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ} كما جاء في الصحيحين «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، ولم يحل إلا ساعة من نهار وإنها ساعتي هذه، حرام بحرمة الله إلى

يوم القيامة، لا يعضد شجره ولا يختلى خلاه، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فقولوا إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم»، يعني بذلك صلوات الله وسلامه عليه قتاله أهلها يوم فتح مكة، فإنه فتحها عنوة وقتلت رجال منهم عند الخندمة، وقيل صلحًا لقوله «من أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

وقوله: {حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِۖ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَافِرِينَ} يقول تعالى: ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام إلا أن يبدؤوكم بالقتال فيه، فلكم حينئذ قتالهم وقتلهم دفعًا للصيال([37])، كما بايع النبي صلى الله عليه وسلّم أصحابه يوم الحديبية تحت الشجرة على القتال، لما تألبت عليه بطون قريش ومن والاهم من أحياء ثقيف والأحابيش عامئذ، ثم كف الله القتال بينهم فقال {وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْۚ} وقال {وَلَوْلا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ في رَحْمَتِهِ مَن يشاء} وقوله: {فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} أي فإن تركوا القتال في الحرم وأنابوا إلى الإسلام والتوبة، فإن الله يغفر ذنوبهم ولو كانوا قد قتلوا المسلمين في حرم الله فإنه تعالى لا يتعاظمه ذنب أن يغفره لمن تاب منه إليه، ثم أمر الله بقتال الكفار {حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ}».

وقوله: {فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلا عَلَى ٱلظَّـالِمِينَ} يقول تعالى فإن انتهوا عما هم فيه من الشرك وقتال المؤمنين فكفوا عنهم، فإن من قاتلهم بعد ذلك فهو ظالم ولا عدوان إلا على الظالمين، وهذا معنى قول مجاهد أن لا يقاتل إلا من قاتل أو يكون تقديره فإن انتهوا تخلصوا من الظلم، فلا عدوان عليهم بعد ذلك، والمراد بالعدوان ههنا المعاقبة والمقاتلة كقوله: {فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْۚ} وقوله: {وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ} {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۖ}... وقال البخاري: قوله: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ} الآية، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عبد

الوهاب حدثنا عبيد الله عن نافع، عن ابن عمر قال: أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا: إن الناس ضيعوا وأنت ابن عمر وصاحب النبي صلى الله عليه وسلّم فما يمنعك أن تخرج؟ فقال يمنعني أن الله حرم دم أخي، قالا: ألم يقل الله {وَقَـاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ}؟ فقال: قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة، وحتى يكون الدين لغير الله، وزاد عثمان بن صالح عن ابن وهب، أخبرني فلان وحيوة بن شريح عن بكر بن عمر المغافري، أن بكير بن عبد الله حدثه عن نافع، أن رجلًا أتى ابن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن ما حملك على أن تحج عامًا وتقيم عامًا وتترك الجهاد في سبيل الله عز وجل، وقد علمت ما رغب الله فيه؟ فقال: يا ابن أخي بني الإسلام على خمس: الإيمان بالله ورسوله والصلوات الخمس وصيام رمضان وأداء الزكاة وحج البيت. قالوا: يا أبا عبد الرحمن، ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه، {وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى ٱلاخْرَىٰ فَقَاتِلُوا ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ} [الحجرات:9] {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ} قال فعلنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلّم وكان الإسلام قليلًا، فكان الرجل يفتن في دينه إما قتلوه أو عذبوه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة، قال فما قولك في علي وعثمان؟ قال: أما عثمان فكان الله عفا عنه، وأما أنتم فكرهتم أن يعفو عنه، وأما علي فابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلّم وختنه، فأشار بيده، فقال: هذا بيته حيث ترون.

قال عكرمة: عن ابن عباس والضحاك والسدي وقتادة ومقسم والربيع بن أنس وعطاء وغيرهم، لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلّم، معتمرًا في سنة ست من الهجرة وحبسه المشركون عن الدخول والوصول إلى البيت وصدوه بمن معه من المسلمين، في ذي القعدة وهو شهر حرام حتى قاضاهم على الدخول من قابل، فدخلها في السنة الآتية هو ومن كان معه من المسلمين، وأقصه الله منهم، فنزلت في ذلك هذه الآية {ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌۚ} وقال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنا ليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله، قال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلّم يغزو في الشهر الحرام، إلا أن يغزى وتغزوا، فإذا حضره أقام حتى ينسلخ. هذا إسناد صحيح: ولهذا لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلّم، وهو مخيم بالحديبية أن عثمان قتل، وكان قد بعثه في رسالة إلى المشركين، بايع أصحابه وكانوا ألفًا وأربعمائة تحت الشجرة، على قتال المشركين، فلما بلغه أن عثمان لم يقتل، كف عن ذلك وجنح إلى المسالمة والمصالحة، فكان ما كان. وكذلك لما فرغ من قتال هوازن يوم حنين، وتحصن لهم بالطائف، عدل إليها فحاصرها، ودخل ذو القعدة وهو محاصر لها بالمنجنيق، واستمر عليه إلى كمال أربعين يومًا

كما ثبت في الصحيحين عن أنس، فلما كثر القتل في أصحابه انصرف عنها ولم تفتح، ثم كر راجعًا إلى مكة واعتمر من الجعرانة، وكانت عمرته هذه في ذي القعدة أيضًا، عام ثمان صلوات الله وسلامه عليه وقوله: {فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْۚ} أمر بالعدل حتى في المشركين، كما قال: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦۖ} وقال: {وجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ}.

وقوله: {وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ} أمر لهم بطاعة الله وتقواه، وإخباره بأنه تعالى مع الذين اتقوا بالنصر والتأييد في الدنيا والآخرة"([38]).

ويقول الرازي: أما قوله تعالى: {وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِۚ}: أن الفتنة أصلها عرض الذهب على النار لاستخلاصه من الغش، ثم صار اسما لكل ما كان سببًا للامتحان تشبيهًا بهذا الأصل، والمعنى: أن إقدام الكفار على الكفر وعلى تخويف المؤمنين، وعلى تشديد الأمر عليهم بحيث صاروا ملجئين إلى ترك الأهل والوطن هربًا من إضلالهم في الدين، وتخليصًا للنفس مما يخافون ويحذرون، فتنة شديدة بل هي أشد من القتل الذي يقتضي التخليص من غموم الدنيا وآفاتها، وقال بعض الحكماء: ما أشد من هذا القتل الذي أوجبه عليكم جزاء غير تلك الفتنة"([39]).

فمما تقدم من أقوال المفسرين نفهم أن الآيات، (190 - البقرة 195)، نزلت في الأحداث التي وقعت إبان نزولها وأنها تخص ذلك الزمن. وفي "أسباب النزول" للنيسابوري أن الآيتين 190 و194 قد نزلتا في صلح الحديبية. فبعد أن نقرأ في الآية (190): {وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ...} نرى أن الآية (191) تقول: {وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ...} وتكمل الآية (192): {فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ
اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}. فما معنى أن يتمحور كلام هذه الآيات وما يليها حول القتال عند المسجد الحرام، ألا يدلُّ على أنها موجهة حصرًا إلى المؤمنين الذين كانوا يقاتلون في ذلك الزمن؟

الآية (208 البقرة): يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي
السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * (208)

في تفسير ابن كثير:

"يقول الله تعالى آمرًا عباده المؤمنين به المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره، ما استطاعوا من ذلك"([40]).

وقد يكون أيضًا في قوله تعالى: {ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً}، أمرٌ إلى من كان له رأيٌ يخالف رأي النبي (ص)، حول صلح الحديبية، بأن يقبلوا به.

الآيات (216-218 البقرة):

{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ* (216) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * (217) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَـئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * (218)}

أسباب نزول الآية (217):

"أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم، والطَّبراني في الكبير، والبيهقي في سننه، عن جندب بن عبد الله: أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم بعث رهطًا، وبعث عليهم عبد الله بن جحش، فلقوا ابن الحضرمي، فقتلوه ولم يدروا أَنَّ ذلك اليوم من رجب أَو من جمادى، فقال المشركون للمسلمين: «قتلتم في الشهر الحرام، فأَنزل الله تعالى: {يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ} الآية». فقال بعضهم: «إن لم يكونوا أَصابوا وزرًا ليس لهم أجر، فأنزل الله: {إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَـاهَدُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُولَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}». وأَخرجه ابن منده في الصَّحابة من طريق عثمان بن عطاء، عن أَبيه، عن ابن عباس"([41]).

من هذه الآيات (216-218) ومن أسباب نزول إحداها (217) نفهم أن القتال كان للصدِّ عن المسجد الحرام؛ ولأن أهله، أي الذين آمنوا في حينه برسالة النبي (ص)، قد أخرجوا منه، أي من مكة، ظلمًا ولإن مشركي قريش كانوا يقاتلونهم بغية ردهم عن دينهم. وبالتالي فهذه الآيات نراها تخصُّ حصرًا تلك الحقبة من الزمن. أما قوله: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ...} فإني أفهم منه أن القتال فرضته الأحداث كرها على المسلمين في تلك الحقبة وقد أجبروا عليه مما لاقوه من ظلمٍ وعدوان. ولا ننسى أن القتال في سبيل الله قد فرض يوما على اليهود كما في قوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} (البقرة 246).

ولا بدَّ من الإشارة أيضًا، إلى أن القتل خطأً أمرٌ كثيرًا ما يحصل في الحروب، والشواهد غير قليلة في أيامنا الحاضرة على رغم ما نشهده من التقنيات.

الآيتان (238-239): {حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ * (238) فَإنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ* (239)}

بالتأكيد أن الآية (238) موجهة إلى المؤمنين جميعًا في كل زمان ومكان للمحافظة على الصلوات، وما ورودها بين "آيات الجهاد" إلَّا لتوضيح الآية (239)، وكيفية أداء الصلاة في حال وجود أي خطر على المصلين.

الآيات (244-251):

{وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * (244) مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * (245) أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * (246) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ

طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * (247) وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * (248) فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * (249) وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * (250) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَـكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ * (251).}

أسباب نزول الآية (245):

"روى ابن حبان في صحيحه، وابن أَبي حاتم،
وابن مردويه عن ابن عمر قال: «لمَّا نزلت: {مَّثَلُ ٱلَّذِينَ
يُنفِقُونَ أموَالَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ} إلى آخرها،
قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: ربِّ زِد أُمتي، فنزلت: {مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً}»".

فبعدما بدأت هذه الآيات (244-251) بـ "وقاتلوا
في سبيل الله" نراها تقُصُّ على النبي (ص) حكايات من قتال أحد أنبياء بني إسرائيل ومن معه... وما هذا إلا درسٌ وعِبَرة من التاريخ موجهان إلى الذين كانوا يقاتلون مع النبي (ص) في حينه، وليخبرهم أن مثل هذا القتال ليس جديدًا، إنما تفرضه ظروفٌ معينة. أما الآية (245) فهي تحضُّ على عمل الخير وهي بالتالي موجهة إلى الناس في جميع الأمكنة والأزمنة.

من سورة آل عِمران (آياتها مدنية):

الآية (13 آل عِمران):

{قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاء إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَّأُوْلِي الأَبْصَارِ * (13)}

يقول الجلالان: "{قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ} عبرة، وذكر الفعل للفصل {فِي فِئَتَيْنِ} فرقتين {ٱلْتَقَتَا} يوم بدر للقتال {فِئَةٌ تُقَاتِلُ في سَبِيلِ ٱللَّهِ} أي طاعته وهم النبي وأصحابه وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا معهم فرسان وست أدرع وثمانية سيوف وأكثرهم رجالة {وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم} أي الكفار {مِّثْلَيْهِمْ} أي المسلمين أي أكثر منهم وكانوا نحو ألف {رَأْىَ ٱلْعَيْنِ} أي رؤية ظاهرة معاينة وقد نصرهم الله مع قلتهم {وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ} يقوي {بِنَصْرِهِ مَن يَشَآءُ} نصره {إِنَّ في ذَٰلِكَ} المذكور {لَعِبْرَةً لأوْلِى ٱلابْصَارِ} لذوي البصائر أفلا تعتبرون بذلك فتؤمنون؟"([42]).

واضح أن هذه الآية مخصصة حصرًا لتلك الحقبة من الزمن. كما يقول الجلالان بأنها تتكلم عن معركة بدر.

الآية (111 آل عِمران):

{لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ*(111)}

يقول الجلالان: "{لَن يَضُرُّوكُمْ} أي اليهود يا معشر المسلمين بشيء {إِلَّآ أَذًى} باللسان من سب ووعيد {وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلادْبَارَ} منهزمين {ثُمَّ لا يُنصَرُونَ} عليكم بل لكم النصر عليهم"([43]).

واضح أنها مخصصة لرفع معنويات المقاتلين في قتالهم اليهود في تلك الحقبة.

الآيات (121-127 آل عِمران):

{وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ
وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * (121) إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ
وَاللهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * (122) وَلَقَدْ

نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * (123) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ
آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ * (124) بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ
مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ * (125) وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى
لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * (126) لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ * (127)}

أسباب نزول الآية (آل عِمران 121):

"أخرج ابن أَبي حاتم، وأبو يعلى، عن المسور بن مخرمة قال: «قلت لعبد الرحمن بن عوف: أخبرني عن قصتكم يوم أُحد، فقال: اقرأ بعد العشرين ومائة من آل عمران تجد قصتنا: {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِۗ}، إلى قوله: {إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ}. قال: هم الذين طلبوا الأمان من المشركين إلى قوله: {وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ}. قال: هو تمني المؤمنين لقاء العدو إلى قوله: {أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ}. قال: هو صياح الشَّيطان يوم أُحد: قُتل محمَّد، إلى قوله: {أَمَنَةً نُّعَاسًا}. قال: أَلقى عليهم النَّوم». وأخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله قال: «فينا نزلت في بني سلمة وبني حارثة: {إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ}. وأَخرج ابن أَبي شيبة في المصنَّف، وابن أَبي حاتم، عن الشَّعبي: «أَنَّ المسلمين بلغهم يوم بدر أَن كرز بن جابر المحاربي يمدُّ المشركين، فشقَّ عليهم، فأَنزل الله: {أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم} إلى قوله: {مُسَوِّمِينَ} فبلغت كِرزًا الهزيمة فلم يمدَّ المشركين ولم يمدَّ المسلمون بالخمسة»"([44]).

من سياق هذه الآيات (121-127)، حيث الخطاب فيها موجه إلى النبي (ص) ومن كلام النيسابوري في أسباب نزول أولاها، نتبين أنها تتكلم عن يومي أُحُد وبدر.

الآيات (137-180 آل عِمران):

{قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذَّبِينَ * (137) هَـذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ* (138) وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * (139) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * (140) وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * (141) أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ * (142) وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * (143) وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ * (144) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَابًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ * (145) وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * (146) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * (147) فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * (148) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ * (149) بَلِ اللّهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ * (150) سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ * (151) وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ * (152) إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * (153) ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * (154) إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا اللّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ * (155) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ

وَاللهُ يُحْيِـي وَيُمِيتُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * (156) وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ * (157) وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى الله تُحْشَرُونَ * (158) فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ * (159) إِن يَنصُرْكُمُ اللهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ * (160) وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ * (161) أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَن بَاء بِسَخْطٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * (162) هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللهِ واللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * (163) لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ * (164) أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَـذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * (165) وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * (166) وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ * (167) الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * (168) وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * (170) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ * (171) الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ * (172) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * (173) فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * (174) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * (175) وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * (176) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ لَن يَضُرُّواْ اللهَ شَيْئًا وَلهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * (177) وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهْمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ * (178) مَّا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاء فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ * (179) وَلاَ

يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * (180)}.

أسباب نزول الآية (140 آل عِمران):

"أَخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: «لما أَبطأَ على النِّساء الخبر خرجن ليستخبرن، فإذا رجلان مقبلان على بعير فقالت امرأة: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلّم؟ قالا: حيّ، قالت: فلا أُبالي يتخذ الله من عباده الشهداء. ونزل القرآن على ما قالت: {وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَۗ}»"([45]).

أسباب نزول الآية (143 آل عِمران):

أَخرج ابن أَبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس: «أَنَّ رجالًا من الصَّحابة كانوا يقولون: ليتنا نقتل كما قتل أَصحاب بدر أو ليت لنا يومًا كيوم بدر نقاتل فيه المشركين ونبلي فيه خيرًا أو نلتمس الشهادة والجنة أَو الحياة والرزق، فأَشهدهم الله أُحدًا فلم يلبثوا إِلاَّ ما شاء الله منهم، فأَنزل الله: {وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ} الآية».([46])

أسباب نزول الآية (144 آل عِمران):

"أَخرج ابن المنذر عن عمر قال: «تفرقنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم يوم أُحد فصعدتُ الجبل فسمعت يهود تقول: قتل محمد، فقلت: لا أَسمع أحدًا يقول قتل محمد إلاَّ ضربت عنقه، فنظرت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلّم والنَّاس يتراجعون إليه فنزلَتْ: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ} الآية». وأَخرج ابن أَبي حاتم عن الربيع قال: «لِما أَصابهم يوم أُحد ما أَصابهم من القرح وتداعوا نبي الله قالوا: قد قتل، فقال أُناس لو كان نبيًا ما قتل، وقال أُناس: قاتِلوا على ما قاتل عليه نبيكم حتى يفتح الله عليكم أَو تلحقوا به، فأَنزل الله: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ} الآية». وأَخرج البيهقي في الدلائل عن أَبي نجيح: «أَنَّ رجلًا من المهاجرين مرَّ على رجل من الأَنصار وهو يتشحط في دمه، فقال: أَشعرتَ أَنَّ محمدًا قد قتل، فقال: إن كان محمَّد قد قتل فقد بلَّغ فقاتلوا عن دينكم، فنزلت». وأَخرج ابن راهويه في مسنده، عن الزهري: «أَنَّ الشَّيطان صاح يوم أُحد: إِنَّ محمَّدًا قد قتل، قال كعب بن مالك: أَنا أَول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلّم رأيت عينيه من تحت المغفر،

فناديت بأَعلى صوتي: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلّم فأَنزل الله: {وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ} الآية». ([47])

أسباب نزول الآية (154 آل عِمران):

"أَخرج ابن راهويه، عن الزبير قال: «لقد رأيتني يوم أُحد حين اشتدَّ علينا الخوف، وأُرسل علينا النَّوم، فما منَّا أَحد إلاَّ ذقنه في صدره، فواللـه إنِّي لأَسمع كالحلم قول معتب بن قشير: {لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا}. فحفظتها، فأَنزل اللـه في ذلك: {ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمّ أَمَنَةً نُّعَاسًا} إلى قولـه: {وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ}» ([48]).

أسباب نزول الآية (161 آل عِمران):

"أَخرج أبو داود، والتِّرمذي وحسَّنه، عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في قطيفة حمراء، افْتُقِدت يوم بدر فقال بعض الناس: لعل رسول الله صلى الله عليه وسلّم أَخذها، فأَنزل الله: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ} إلى آخر الآية». وأَخرج الطبراني في الكبير بسندٍ رجالُه ثقاتٌ عن ابن عباس قال: «بعث النَّبي صلى الله عليه وسلّم جيشًا فردَّت رايته، ثمَّ بعث فردت، ثمَّ بعث فردت بغلول رأْس غزال من ذهب فنزلت: {وَمَا كَانَ لِنَبِيّ أَن يَغُلَّ}»" ([49]).

أسباب نزول الآية (165 آل عِمران):

"أَخرج ابن أَبي حاتم عن عمر بن الخطاب قال: «عوقبوا يوم أُحد بما صنعوا يوم بدر من أَخذهم الفداء، فقتل منهم سبعون، وفرَّ أَصحاب النَّبي صلى الله عليه وسلّم، وكسرت رِبَاعيته، وهشِّمت البيضة على رأْسه، وسال الدَّم على وجهه فأَنزل الله: {أَوَ لَمَّآ أصابكم مُّصِيبَةٌ} الآية»" ([50]).

أسباب نزول الآية (169 آل عِمران):

"روى أَحمد، وأبو داود، والحاكم، عن ابن عباس
قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: لما أُصيب إِخوانكم بأُحد جعل الله أرواحهم في أَجواف طير خضر
تَرِد أَنهار الجنَّة، وتأْكل من ثمارها، وتأْوي إِلى قناديل
من ذهب في ظلِّ العرش، فلمَّا وجدوا طيب مأْكلهم، ومشربهم، وحسن مقيلهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب. فقال الله: أَنا أُبلغهم عنكم، فأَنزل الله هذه الآية: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا} الآية وما بعدها». وروى الترمذي عن جابر نحوه" .(51)

أسباب نزول الآية (172 آل عِمران):

"أَخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس
قال: «إنَّ الله قذف الرُّعب في قلب أَبي سفيان يوم أُحد بعد الذي كان منه فرجع إلى مكة، فقال النَّبي صلى الله عليه وسلّم: إِنَّ أَبا سفيان قد أَصاب منكم طرفًا وقد رجع وقذف
الله في قلبه الرُّعب، وكانت وقعة أُحد في شوَّال، وكان
التُّجار يقدمون المدينة في ذي القعدة، فينزلون ببدر الصُّغرى، وإِنَّهم قدموا بعد وقعة أُحد وكان أَصاب المؤمنين القرحُ واشتكوا ذلك فندب النبي صلى الله عليه وسلّم الناس لينطلقوا معه. فجاء الشيطان فخوَّف أولياءه، فقال: إِنَّ النَّاس قد جمعوا لكم، فأَبى عليه النَّاس أَنْ يتبعوه فقال: إِنِّي ذاهب وإن لم يتبعني أحد، فانتدب معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وسعد وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجرَّاح في سبعين رجلًا فساروا في طلب أَبي سفيان فطلبوه حتى بلغوا الصَّفراء،
فأَنزل الله: {ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُو لِلَّهِ وَٱلرّسُولِ}. الآية. وأَخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: «لما رجع المشركون من أُحد قالوا: لا محمدًا قتلتم ولا الكواعب أَردفتم، بئس ما صنعتم ارجعوا، فسمع رسول الله فَنَدَبَ المسلمين فانتدبوا حتى بلغ حمراء الأَسد أَو بئر أَبي عتبة، فأَنزل الله: {ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ} الآية». وقد كان
أَبو سفيان قال للنَّبي صلى الله عليه وسلّم: موعدك موسم

بدر حيث قَتلْتم أَصحابنا، فأَمَّا الجبان فرجع، وأَمَّا الشُّجاع فأَخذ أُهبة القتال والتِّجارة فأَتوه فلم يجدوا به أَحدًا وتسوّقوا، فأَنزل الله: {فَٱنقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ} الآية». وأَخرج ابن مردويه عن أَبي رافع: «أَنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلّم وجَّه عليًا في
نفر معه في طلب أَبي سفيان، فلقيهم أَعرابي من خُزاعة
فقال: إنَّ القوم قد جمعوا لكم، قالوا: {حَسْبُنَا ٱللَّهُ
وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ} فنزلت فيهم هذه الآية»"([52]).

يقول الجلالان في تفسيرهما للآيات (137-180 آل عِمران):

"137- ونزل في هزيمة أحد {قَدْ خَلَتْ} مضت {مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ} طرائق في الكفار بإمهالهم ثم أخذهم {فَسِيرُوا} أيها المؤمنون {في ٱلارْضِ فَٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ} الرسل أي آخر أمرهم من الهلاك فلا تحزنوا لغلبتهم فأنا أمهلهم لوقتهم. 138- {هَـٰذَآ} القرآن {بَيَانٌ لِّلنَّاسِ} كلهم {وَهُدًىٰ} من الضلالة {وموعظةٌ لِّلْمُتَّقِينَ} منهم 139- {وَلا تَهِنُوا} تضعفوا عن قتال الكفار {وَلا تَحْزَنُوا} على ما أصابكم بأُحد {وَأَنتُمُ ٱلأعْلَوْنَ} بالغلبة عليهم {إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ} حقا، وجوابه دل عليه مجموع ما قبله. 140- {إِن يَمْسَسْكُمْ} يصبكم بأحد {قَرْحٌ} بفتح القاف وضمها، جهد من جرح ونحوه {فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ} الكفار {قَرْحٌ مِّثْلُهُ} ببدر {وَتِلْكَ ٱلايَّامُ نُدَاوِلُهَا} نصرفها {بَيْنَ ٱلنَّاسِ} يوما لفرقة ويوما لأخرى ليتعظوا {وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ} علم ظهور {ٱلَّذِينَ كَفَرُوَا} أخلصوا في إيمانهم من غيرهم {وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ} يكرمهم بالشهادة {وَٱللَّهُ لا يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ} الكافرين أي يعاقبهم وما ينعم به عليهم استدراج. 141- {وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا} يطهرهم من الذنوب بما يصيبهم {وَيَمْحَقَ} يهلك {ٱلْكَافِرِينَ}. 142- {أَمْ} بل أ {حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا} لم {يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـاهَدُوا مِنكُمْ} علم ظهور {وَيَعْلَمَ الصابرين} في الشدائد. 143- {وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ} فيه حذف إحدى التاءين في الأصل {ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ} حيث قلتم ليت لنا يوما كيوم بدر لننال ما نال شهداؤه {فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ} أي سببه الحرب {وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ} أي بصراء تتأملون الحال كيف هي فلم انهزمتم؟ ونزل في هزيمتهم لما أشيع أن النبي صلى الله عليه وسلّم قتل وقال لهم المنافقون إن كان قتل فارجعوا إلى دينكم: 144- {وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ} كغيره {ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـابِكُمْ} رجعتم إلى الكفر، والجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري، أي ما كان معبودا فترجعوا {وَمَن

يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ} وإنما يضر نفسه {وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّاكِرِينَ} نعمه بالثبات. 145- {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ ٱللَّهِ} بقضائه {كِتَابًا} مصدر، أي كتب اللـه ذلك {مُّؤَجَّلاًۗ} مؤقتا لا يتقدّم ولا يتأخر فلم انهزمتم والـهزيمة لا تدفع الموت والثبات لا يقطع الحياة {وَمَن يُرِد} بعملـه {ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا} أي جزاءه منها {نُؤْتِهِۦ مِنْهَا} ما قسم لـه ولا حظ لـه في الآخرة {وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَاۚ} أي من ثوابها {وَسَنَجْزِى ٱلشَّاكِرِينَ}. 146- {وَكَأَيِّن} كم {مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ} وفي قراءة قتل، والفاعل أو نائبه «ربيّون» وقيل ضميره {مَعَهُ} خبر مبتدؤه {رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ} جموع كثيرة {فَمَا وَهَنُوا} جبنوا {لِمَآ أَصَابَهُمْ في سَبِيلِ ٱللَّهِ} من الجراح وقتل أنبيائهم وأصحابهم {وَمَا ضَعُفُوا} عن الجهاد {وَمَا ٱسْتَكَانُوا} خضعوا لعدوّهم كما فعلتم حين قيل قتل النبي صلى الله عليه وسلّم {وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـابِرِينَ} على البلاء أي يثيبهم. 147- {وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ} عند قتل نبيهم مع ثباتهم وصبرهم {إِلا أَن قَالُوا رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا} تجاوزنا الحدّ {في أَمْرِنَا} إيذانا بأن ما أصابهم لسوء فعلهم وهضما لأنفسهم {وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا} بالقوّة على الجهاد {وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ}. 148- {فَـَٔاتَاهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا} النصر والغنيمة {وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلآخِرَةِۗ} أي الجنة وحسنة التفضل فوق الاستحقاق {وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ}. 149- {يَـا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓا إِن تُطِيعُوا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا} فيما يأمرونكم به {يَرُدُّوكُمْ عَلَىٓ أَعْقَابِكُمْ} إلَى الكفر {فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ}. 150- {بَلِ ٱللَّهُ مَوْلاَكُمْۖ} ناصركم {وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـاصِرِينَ} فأطيعوه دونهم. 151- {سَنُلْقِى في قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ} بسكون العين وضمها، الخوف وقد عزموا بعد ارتحالهم من أحد على العود واستئصال المسلمين فرعبوا ولم يرجعوا {بِمَآ أَشْرَكُوا} بسبب إشراكهم {بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَانًا} حجة على عبادته وهو الأصنام {وَمَأْوَاهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئْسَ مَثْوَى} مأوى {ٱلظَّالِمِينَ} الكافرين هي. 152- {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُ} إياكم بالنصر {إِذْ تَحُسُّونَهُم} تقتلونهم {بِإِذْنِهِ} بإرادته {حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ} جبنتم عن القتال {وَتَنَـازَعْتُمْ} اختلفتم {في ٱلامْرِ} أي أمر النبي صلى الله عليه وسلّم بالمقام في سفح الجبل للرمي فقال بعضكم: نذهب فقد نُصر أصحابنا وقال بعضكم: لا نخالف أمر النبي صلى الله عليه وسلّم {وَعَصَيْتُم} أمره فتركتم المركز لطلب الغنيمة {مِّنْ بَعْدِ مَآ أَرَاكُم} الله {مَّا تُحِبُّونَۚ} من النصر، وجواب إذا دل عليه ما قبله، أي منعكم نصره {مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا} فترك المركز للغنيمة {وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلاخِرَةَۚ} فثبت به حتى قتل كعبد الله بن جبير وأصحابه {ثُمَّ صَرَفَكُمْ} عطف على جواب إذا المقدر ردّكم للهزيمة {عَنْهُمْ} أي الكفار {لِيَبْتَلِيَكُمْۖ} ليمتحنكم فيظهر المخلص من غيره {وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْۗ} ما ارتكبتموه {وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ} بالعفو. 153- اذكروا {إِذْ تُصْعِدُونَ} تبعدون

في الأرض هاربين {وَلا تَلْوُونَ} تعرجون {عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فيَ أُخْراكُمْ} أي من ورائكم يقول «إلـيَّ عباد الله إلـيَّ عباد الله» {فَأَثَـابَكُمْ} فجازاكم {غَمًّا} بالهزيمة {بِغَمٍّ} بسبب غمكم للرسول بالمخالفة، وقيل: الباء بمعنى على، أي مضاعفا على غم فوت الغنيمة {لِّكَيْلا} متعلق بعفا أو بأثابكم فـ «لا» زائدة {تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ} من الغنيمة {وَلا مَآ أَصَابَكُمْ} من القتل والهزيمة {وَٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}. 154- {ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ ٱلْغَمّ أَمَنَةً} أمنا{نُّعَاسًا} بدل {يَغْشَى} بالياء والتاء {طَآئِفَةً مِّنكُمْ} وهم المؤمنون فكانوا يميدون تحت الحجف وتسقط السيوف منهم {وَطَآئِـفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ} أي حملتهم على الهم فلا رغبة لهم إلا نجاتها دون النبي صلى الله عليه وسلّم وأصحابه فلم يناموا وهم المنافقون {يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ} ظنا {غَيْرِ} الظن {ٱلْحَقّ ظَنَّ} أي كظن {ٱلْجَـاهِلِيَّةِ} حيث اعتقدوا أن النبي قتل أو لا ينصر {يَقُولُونَ هَلْ} ما {لَّنَا مِنَ ٱلامْرِ} أي النصر الذي وعدناه {مِنْ} زائدة {شَىْءٍۗ قُلْ} لهم {إِنَّ ٱلامْرَ كُلَّهُ} بالنصب توكيدا، والرفع مبتدأ وخبره {لِلَّهِ} أي القضاء له يفعل ما يشاء {يُخْفُونَ فيَ أَنفُسِهِم مَّا لا يُبْدُونَ} يظهرون {لَكَۖ يَقُولُونَ} بيان لما قبله {لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلامْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـاهُنَاۗ} أي لو كان الاختيار إلينا لم نخرج فلم نقتل لكن أخرجنا كرها {قُلْ} لهم {لَّوْ كُنتُمْ في بُيُوتِكُمْ} وفيكم من كتب الله عليه القتل {لَبَرَزَ} خرج {ٱلَّذِينَ كُتِبَ} قضي {عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ} منكم {إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۖ} مصارعهم فيقتلوا ولم ينجهم قعودهم لأن قضاءه تعالى كائن لا محالة فعل ما فعل بأحد يختبر {وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا في صُدُورِكُمْ} قلوبكم من الإخلاص والنفاق {وَلِيُمَحّصَ} يميز {مَا في قُلُوبِكُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ} بما في القلوب لا يخفى عليه شيء وإنما يبتلي ليظهر للناس. 155- {إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ} عن القتال {يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ} جمع المسلمين وجمع الكفار بأُحُد، وهم المسلمون إلا اثنا عشر رجلًا {إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ} أزلهم {الشيطان} بوسوسته {بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا} من الذنوب وهو مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلّم {وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ} للمؤمنين {حَلِيمٌ} لا يعجل على العصاة. 156- {يَا أَيـُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا} أي المنافقين {وَقَالُوا لاخْوَانِهِمْ} أي في شأنهم {إِذَا ضَرَبُوا} سافروا {في ٱلارْضِ} فماتوا {أَوْ كَانُوا غُزًّى} جمع غاز فقتلوا {لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا} أي لا تقولوا كقولهم {لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ} القول في عاقبة أمرهم {حَسْرَةً في قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُۗ} فلا يمنع عن الموت قعود {وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ} بالتاء والياء {بَصِيرٌ} فيجازيكم به. 157- {وَلَئِن} لام قسم {قُتِلْتُمْ في سَبِيلِ ٱللَّهِ} أي الجهاد {أَوْ مُتُّمْ} بضم الميم وكسرها، من مات يموت، أي أتاكم الموت فيه {لَمَغْفِرَةٌ} كائنة {مِنَ ٱللَّهِ} لذنوبكم {وَرَحْمَةٌ} منه لكم على ذلك، واللام ومدخولها جواب القسم، وهو

في موضع الفعل مبتدأ خبره {خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} من الدنيا. بالتاء والياء. 158- {وَلَئِن} لام قسم {مُّتُّمْ} بالوجهين {أَوْ قُتِلْتُمْ} في الجهاد أو غيره {لإِلَى ٱللَّهِ} لا إلى غيره {تُحْشَرُونَ} في الآخِرَةِ فيجازيكم. 159- {فَبِمَآ} «ما» زائدة {رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ} يا محمد صلى الله عليه وسلّم {لَهُمْ} أي سهلت أخلاقك إذ خالفوك {وَلَوْ كُنتَ فَظًّا} سيىء الخلق {غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ} جافيا فأغلظت لهم {لانفَضُّوا} تفرّقوا {مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ} تجاوز {عَنْهُمْ} ما أتوه {وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ} ذنبهم حتى أغفر لهم {وَشَاوِرْهُمْ} استخرج آراءهم {في ٱلامْرِ} أي شأنك من الحرب وغيره تطييبا لقلوبهم وليُسْتَنَّ بك فكان صلى الله عليه وسلّم كثير المشاورة لهم {فَإِذَا عَزَمْتَ} على إمضاء ما تريد بعد المشاورة {فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ} ثق به لا بالمشاورة {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ} عليه. 160- {إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ} يعنكم على عدوّكم كيوم بدر {فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ} يترك نصركم كيوم أُحُد {فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ} أي بعد خذلانه أي لا ناصر لكم {وَعَلَى ٱللَّهِ} لا غيره {فَلْيَتَوَكَّلِ} ليثق {ٱلْمُؤْمِنُونَ}. 161- ونزلت لما فقدت قطيفة حمراء يوم بدر فقال بعض الناس: لعل النبي صلى الله عليه وسلّم أخذها {وَمَا كَانَ} ما ينبغي {لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ} يخون في الغنيمة فلا تظنوا به ذلك. وفي قراءة بالبناء للمفعول، أي ينسب إلى الغلول {وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِۚ} حاملًا له على عنقه {ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ} الغال وغيره جزاء {مَّا كَسَبَتْۚ} عملت {وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ} شيئا. 162- {أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَ ٱللَّهِ} فأطاع ولم يغل {كَمَنْ بَآءَ} رجع {بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ} لمعصيته وغلوله {وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ} المرجع هي. 163- {هُمْ دَرَجَاتٌ} أي أصحاب درجات {عِندَ ٱللَّهِ} أي مختلفو المنازل فلمن اتبع رضوانه الثواب ولمن باء بسخطه العقاب {وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ} فيجازيهم به. 164- {لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِّنْ أَنفُسِهِمْ} أي عربيا مثلهم ليفهموا عنه ويشرفوا به لا ملكا ولا أعجميّا {يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِۦ} القرآن {وَيُزَكِّيهِمْ} يطهرهم من الذنوب {وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ} القرآن {وَٱلْحِكْمَةَۚ} السنة {وَإِنْ} مخففة أي إنهم {كَانُوا مِن قَبْلُ} أي قبل بعثه {لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} بين. 165- {أَوَ لَمَّآ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ} بأُحُد بقتل سبعين منكم {قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا} ببدر بقتل سبعين وأسر سبعين منهم {قُلْتُمْ} متعجبين {أَنَّى} من أين لنا {هَـٰذَآ} الخذلان ونحن مسلمون ورسول الله فينا. والجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري {قُلْ} لهم {هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ} لأنكم تركتم المركز فخُذلتم {إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ} ومنه النصر ومنعه، وقد جازاكم بخلافكم. 166- {وَمَآ أَصَابَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ} بأحُد {فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ} بإرادته {وَلِيَعْلَمَ} الله علم ظهور {ٱلْمُؤْمِنِينَ} حقا. 167- {وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواۚ وَ} الذين {قِيلَ لَهُمْ} لما انصرفوا عن القتال وهم

عبد الله بن أُبيّ وأصحابه {تَعَالَوْا قَـاتِلُوا في سَبِيلِ ٱللَّهِ} أعداءه {أَوِ ٱدْفَعُوا} عنا القوم بتكثير سوادكم إن لم تقاتلوا {قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ} نُحسنُ {قِتَالا لاتَّبَعْنَاكُمۡۗ} قال تعالى تكذيبا لهم {هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَـئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلايمَانِۚ} بما أظهروا من خذلانهم للمؤمنين وكانوا قبل أقرب إلى الإيمان من حيث الظاهر {يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ في قُلُوبِهِمْ} ولو علموا قتالًا لم يتبعوكم {وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ} من النفاق. 168- {ٱلَّذِينَ} بدل من الذين قبله أو نعت {قَالُوا لاخْوَانِهِمْ} في الدين {وَ} قد {قَعَدُوا} عن الجهاد {لَوْ أَطَاعُونَا} أي شهداء أحُد أو إخواننا

-في القعود {مَا قُتِلُوا قُلْ} لهم ادفعوا {فَٱدْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـادِقِينَ} في أن القعود ينجي منه. نزل في الشهداء: 169- {وَلا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا} بالتخفيف والتشديد {في سَبِيلِ ٱللَّهِ} أي لأجل دينه {أَمْوَاتًاۚ بَلْ} هم {أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ} أرواحهم... تسرح في الجنة حيث شاءت كما ورد في الحديث {يُرْزَقُونَ} يأكلون من ثمار الجنة. 170 {فَرِحِينَ} حال من ضمير يرزقون {بِمَآ آتَـاهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَ} هم {يَسْتَبْشِرُونَ} يفرحون {بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ} من إخوانهم المؤمنين وبدل من الذين{أ}نْ أي بأن {لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} أي الذين لم يلحقوا بهم {وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} في الآخرة المعنى يفرحون بأمنهم وفرحهم. 171- {يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ} ثواب {مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ} زيادة عليه {وَأَنَّ} بالفتح عطفا على نعمة، والكسر استئنافا {ٱللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ} بل يأجرهم. 172- {ٱلَّذِينَ} مبتدأ {ٱسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ} دعاءه بالخروج للقتال لما أراد أبو سفيان وأصحابه العود وتواعدوا مع النبي صلى الله عليه وسلّم وأصحابه سوق بدر العام المقبل من يوم أُحُد {مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُۚ} بأُحُد. وخبر المبتدأ {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ} بطاعته {وَٱتَّقَوْا} مخالفته {أَجْرٌ عَظِيمٌ} هو الجنة. 173- {ٱلَّذِينَ} بدل من الذين قبله أو نعت {قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ} أي نعيم بن مسعود الأشجعي {إِنَّ ٱلنَّاسَ} أبا سفيان وأصحابه {قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ} الجموع ليستأصلوكم {فَٱخْشَوْهُمْ} ولا تأتوهم {فَزَادَهُمْ} ذلك القول {إِيمَانًاۚ} تصديقا بالله ويقينا {وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ} كافينا أمرهم {وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ} المفوض إليه الأمر هو، وخرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلّم فوافَوا سوق بدر وألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان وأصحابه فلم يأتوا وكان معهم تجارات فباعوا وربحوا. قال الله تعالى: 174- {فَٱنقَلَبُوا} رجعوا من بدر {بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ} بسلامة وربح {لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ} من قتل أو جرح {وَٱتَّبَعُوا رِضْوَانَ ٱللَّهِۗ} بطاعته ورسوله في الخروج {وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} على أهل طاعته. 175- {إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ} أي القائل لكم إن الناس الخ {ٱلشَّيْطَـانُ} {يُخَوِّفُ} كم {أَوْلِيَآءَهُۥ} الكفار {فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ} في ترك أمري {إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ 176- {وَلا يَحْزُنكَ} بضم الياء وكسر الزاي، وبفتحها

وضم الزاي من أحزنه {ٱلَّذِينَ يُسَـارِعُونَ في ٱلْكُفْرِۚ} يقعون فيه سريعا بنصرته وهم أهل مكة أو المنافقون أي لا تهتم لكفرهم {إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا ٱللَّهَ شَيْئًا} بفعلهم وإنما يضرون أنفسهم {يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا} نصيبا {في ٱلاخِرَةِ} أي الجنة فلذلك خذلهم الله {وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} في النار. 177- {إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلْكُفْرَ بالايمَـانِ} أي أخذوه بدله {لَن يَضُرُّوا ٱللَّهَ} بكفرهم {شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} مؤلم. 178- {وَلا يَحْسَبَنَّ} بالياء والتاء {ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِى} أي إملاءنا {لَهُمْ} بتطويل الأعمار وتأخيرهم {خَيْرٌ لانفُسِهِمْ} وأنَّ ومعمولاها سدّت مسدّ المفعولين في قراءة التحتانية، ومسدّ الثاني في الأخرى {أَنَّمَا نُمْلِى} نمهل {لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا} بكثرة المعاصي {وَلَهْمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} ذو إهانة في الآخرة. 179- {مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ} ليترك {ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ} أيها الناس {عَلَيْهِ} من اختلاط المخلص بغيره {حَتَّىٰ يَمِيزَ} بالتخفيف والتشديد، يفصل {ٱلْخَبِيثَ} المنافق {مِنَ ٱلطَّيِّبِ} المؤمن بالتكاليف الشاقة المبينة لذلك ففعل ذلك يوم أُحُد {وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ} فتعرفوا المنافق من غيره قبل التمييز {وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى} يختار {مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَآءُ} فيطلعه على غيبه كما أطلع النبي صلى الله عليه وسلّم على حال المنافقين {فآمنوا بالله ورسُلِه وإن تُؤمنوا وتتقوا} النفاق {فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ}. 180- {وَلا يَحْسَبَنَّ} بالياء والتاء {ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا ءَاتَـاهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ} أي بزكاته {هُوَ} أي بخلهم {خَيْرًا لَّهُمْ} مفعول ثان والضمير للفصل والأوّل بخلهم مقدّرا قبل الموصول على الفوقانية وقبل الضمير على التحتانية {بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ} أي بزكاته من المال {يَوْم ٱلْقِيَامَةِ} بأن يجعل حية في عنقه تنهشه كما ورد في الحديث {وَلِلَّهِ مِيرَاثُ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلأَرْضِۗ} يرثهما بعد فناء أهلهما {وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ} بالياء والتاء {خَبِيرٌ} فيجازيكم به"([53]).

مما قاله الجلالان في تفسيرهما والنيسابوري في أسباب النزول، في هذه الآيات (137-180) نفهم أنَّ ما جاء فيها من كلامٍ في القتال كان يدور حول ما جرى في معركة أُحُد، بالإضافة إلى ما جاء فيها من تأنيبٍ للذين خالفوا أوامر النبي (ص)، وإشاعة مقتله، ومقارنة مع يوم بدر، ودروس وعبر مما جرى مع أنبياء سابقين، وتثبيت إيمان وعفو وتكريمٍ للشهداء، ووعد بالثواب. وهي بالتالي مخصصة فقط لتلك المرحلة. ونشير أيضًا إلى أنّ من بينها آياتٍ تتكلم عن أمورٍ أخرى لا علاقة لها بالقتال، ومنها أنّ الحياة والموت بيد الله وحده.

الآية (195 آل عِمران):

{فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ * (195)}.

في تفسير الجلالين للآية (195 آل عِمران):

"{فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ} دعاءهم {إِنِّي} أي بأني {لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم} كائن {مِّنْ بَعْضٍ} أي الذكور من الإناث وبالعكس، والجملة مؤكدة لما قبلـها: أي هم سواء في المجازاة بالأعمال وترك تضييعها، نزلت لما قالت أم سلمة: يا رسول اللـه إني لا أسمع ذكر النساء في الـهجرة بشيء {فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا} من مكة إلى المدينة {وَأُخْرِجُوا مِن دِيَـارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي} ديني {وَقَاتَلُوا} الكفار {وَقُتِلُوا} بالتخفيف والتشديد. وفي قراءة بتقديمه {لاكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ} أسترها بالمغفرة {وَلادْخِلَنَّهُمْ جَنَّـاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلانْهَارُ ثَوَابًا} مصدر مِن معنى لأكفرنّ مؤكد لـه {مِنْ عِندِ ٱللَّهِ} فيه التفات عن التكلم {وَٱللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ} الجزاء.([54])"

نلاحظ أن هذه الآية تتكلم عن الذين: "هاجروا... وأُخرجوا... وأُوذُوا... وقاتلوا وقُتِلوا" وصيغة الماضي التي وردت بها هذه الأفعال تؤكدُ أنها مخصصة للفترة التي سبقت نزولها.

الآية (200 آل عِمران):

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * (200)}

في تفسير الجلالين للآية (200 آل عِمران):

"{يَـا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱصْبِرُوا} على الطاعات والمصائب وعن المعاصي {وَصَابِرُوا} الكفار فلا يكونوا أشدَّ صبرا منكم {وَرَابِطُوا} أقيموا على الجهاد {وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ} في جميع أحوالكم {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} تفوزون بالجنة وتنجون من النار"([55]).

وعلى الرغم من أن الخطاب في هذه الآية موجَّه إلى الذين كانوا يحاربون مع النبي (ص) وهذا ما أكده الجلالان، فهي تحضُّ المؤمنين على التحلي بالصبر والتقوى والحذر. ولا نرى في هذا أي تعارضٍ مع تعاليم، لا الإسلام فقط، بل جميع الأديان والشرائع.

من سورة النساء (آياتها مدنية):

الآيات (71-84 النساء):

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعًا * (71) وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا * (72) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ الله لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا * (73) فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا * (74) وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا * (75) الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا * (76) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلًا * (77) أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِ اللهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللهِ فَمَا لِهَـؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا * (78) مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا * (79) مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا * (80) وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا * (81) أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا * (82) وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلًا * (83) فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا * (84)}

أسباب نزول الآية (77 النساء):

"أخرج النسَّائي، والحاكم عن ابن عباس: أنَّ عبد الرحمن بن عوف وأصحابًا له أتوا النَّبي صلى الله عليه وسلّم فقالوا: يا نبي الله كنا في عزٍّ ونحن مشركون، فلمَّا آمنَّا صرنا أذلةً. قال: إني

أُمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم، فلمَّا حوَّله الله إلى المدينة أَمره بالقتال فكفُّوا، فأَنزل الله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا أَيْدِيَكُمْ} الآية"([56]).

أسباب نزول الآية (83 النساء):

"روى مسلم عن عمر بن الخطاب قال: لما اعتزل

النبي صلى الله عليه وسلّم نساءه دَخَلْتُ المسجد، فإذا

الناس ينكتون بالحصى ويقولون: طلق رسول الله نساءه، فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي لم يطلّق نساءه، فنزلت هذه الآية: {وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلأمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُ مِنْهُمْ} فَكُنْتُ أَنَا استنبطت ذلك الأَمر"([57]).

في تفسير الجلالين للآيات (71-84 النساء):

"71- {يا أيها ٱلَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ} من عدوّكم أي احترزوا منه وتيقظوا له {فَٱنفِرُوا} انهضوا إلى قتاله {ثُبَاتٍ} متفرّقين سرية بعد أخرى {أَوِ ٱنْفِرُوا جَمِيعًا} مجتمعين. 72- {وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ} ليتأخرنّ عن القتال كعبد الله بن أبيّ المنافق وأصحابه، وجعله منهم من حيث الظاهر. واللام في الفعل للقسم {فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ} كقتل وهزيمة {قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا} حاضرا فأُصاب. 73- {وَلَـئِنْ} لام قسم {أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ} كفتح وغنيمة {لَيَقُولَنَّ} نادما {كَأَن} مخففة واسمها محذوف، أي كأنه {لَّمْ يَكُنِ} بالياء والتاء {بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ} معرفة وصداقة، وهذا راجع إلى قوله {قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ} اعترض به بين القول ومقوله، وهو للتنبيه {يَـا لَيتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا} آخذ حظا وافرا من الغنيمة. قال تعالى: 74- {فَلْيُقَاتِلْ في سَبِيلِ ٱللَّهِ} لإعلاء دينه {ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ} يبيعون {ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيُقْتَلْ} يُستشهد {أَوْ يَغْلِبْ} يظفر بعدوّه {فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} ثوابا جزيلًا. 75- {وَمَا لَكُمْ لا تُقَـاتِلُونَ} استفهام توبيخ: أي لا مانع لكم من القتال {في سَبِيلِ ٱللَّهِ وَ} في تخليص {ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَانِ} الذين حبسهم الكفار عن الهجرة وآذوهم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كنت أنا وأمي منهم {ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ} داعين يا {رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ} مكة {ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا} بالكفر {وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنْكَ} من عندك {وَلِيًّا} يتولى أمورنا {وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا} يمنعنا منهم وقد استجاب الله دعاءهم فيسر لبعضهم الخروج وبقي بعضهم إلى أن فتحت مكة وولى صلى

الله عليه وسلّم عتاب بن أسيد، فأنصف مظلومهم من ظالمهم. 76- {ٱلَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ في سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُقَـاتِلُونَ في سَبِيلِ ٱلطَّاغُوتِ} الشيطان {فَقَاتِلُوا أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَانِ} أنصار دينه تغلبوهم لقوتكم بالله {إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـانِ} بالمؤمنين {كَانَ ضَعِيفًا} واهيا لا يقاوم كيد الله بالكافرين. 77- {أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ} عن قتال الكفار لما طلبوه بمكة لأذى الكفار لهم، وهم جماعة من الصحابة {وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ} فرض {عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ} يخافون {ٱلنَّاسُ} الكفار أي عذابهم بالقتل{كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةًۚ} من خشيتهم له ونصب «أشد» على الحال، وجواب «لما» دل عليه إذا وما بعدها، أي فاجأتهم الخشية {وَقَالُوا} أي جزعا من الموت {رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلا} هلا {أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍۗ قُلْ} لهم {مَتَاعُ ٱلدُّنْيَا} ما يتمتع به فيها أو الاستمتاع بها {قَلِيلٌ} آيل إلى الفناء {وَٱلاخِرَةُ} أي الجنة {خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ} عقاب الله بترك معصيته {وَلا تُظْلَمُونَ} بالتاء والياء، تنقصون من أعمالكم {فَتِيلا} قدر قشرة النواة فيجاهدوا. 78- {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ في بُرُوجٍ} حصون {مُّشَيَّدَةٍۗ} مرتفعة فلا تخشوا القتال خوف الموت {وَإِن تُصِبْهُمْ} أي اليهود {حَسَنَةٌ} خصب وسعة {يَقُولُوا هَـٰذِهِ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ} جدب وبلاء كما حصل لهم عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلّم المدينة {يَقُولُوا هَـٰذِهِ مِنْ عِندِكَۚ} يا محمد أي بشؤمك {قُلِ} لهم {كُلٌّ} من الحسنة والسيئة {مِنْ عِندِ ٱللَّهِ} من قبله {فَمَالِ هَـٰٓؤُلاءِ ٱلْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ} أي لا يقاربون أن يفهموا {حَدِيثًا} يلقى إليهم و«ما» استفهام تعجيب من فرط جهلهم، ونفي مقاربة الفعل أشد من نفيه. 79- {مآ أَصَابَكَ} أيها الإنسان {مِنْ حَسَنَةٍ} خير {فَمَن ٱللَّهُ} أتتك فضلًا منه {وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ} بلية {فَمِن نَّفْسِكَۚ} أتتك حيث ارتكبت ما يستوجبها من الذنوب {وَأَرْسَلْنَاكَ} يا محمد {لِلنَّاسِ رَسُولاًۚ} حال مؤكدة {وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا} على رسالتك. 80- {مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ} أعرض عن طاعته فلا يهمّنك {فَمَآ أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} حافظا لأعمالهم بل نذيرا وإلينا أمرهم فنجازيهم. 81- {وَيَقُولُونَ} أي المنافقون إذا جاؤوك: أمرنا {طَاعَةٌ} لك {فَإِذَا بَرَزُوا} خرجوا {مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ} بإدغام التاء في الطاء وتركه، أي أضمرت {غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُۖ} لك في حضورك من الطاعة، أي عصيانك {وَٱللَّهُ يَكْتُبُ} يأمر بكتب {مَا يُبَيِّتُونَ} في صحائفهم ليجازوا عليه {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} بالصفح {وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ} ثق به فإنه كافيك {وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلا} مفوّضا إليه. 82- {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ} يتأملون {ٱلْقُرْآنَۚ} وما فيه من المعاني البديعة {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَافًا كَثِيرًا} تناقضا في معانيه وتباينا في نظمه. 83- {وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ} عن سرايا النبي صلى

الله عليه وسلّم بما حصل لهم {مِّنَ ٱلامْنِ} بالنصر {أَوِ ٱلْخَوْفِ} بالهزيمة {أَذَاعُوا بِهِۦ} أفشوه: نزل في جماعة من المنافقين أو في ضعفاء المؤمنين. كانوا يفعلون ذلك فتضعف قلوب المؤمنين ويتأذى النبي {وَلَوْ رَدُّوهُ} أي الخبر {إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلامْرِ مِنْهُمْ} أي ذوي الرأي من أكابر الصحابة: أي لو سكتوا عنه حتى يخبروا به {لَعَلِمَهُ} هل هو مما ينبغي أن يذاع أو لا. {ٱلَّذِينَ يَسْتَنْۢبِطُونَهُ} يتتبعونه ويطلبون علمه وهم المذيعون {مِّنْهُمْ} من الرسول وأولي الأمر {وَلَوْلا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ} بالإسلام {وَرَحْمَتُهُ} لكم بالقرآن {لاتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَانَ} فيما يأمركم به من الفواحش {إلا قَلِيلا}. 84 .{فَقَاتِلْ} يا محمد {فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلا نَفْسَكَۚ} فلا تهتمّ بتخلفهم عنك، المعنى: قاتل ولو وحدك فإنك موعود بالنصر {وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ} حُثهم على القتال ورغبهم فيه {عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ} حرب {ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا} منهم {وَأَشَدُّ تَنكِيلا} تعذيبا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم «والذي نفسي بيده لأخرجن ولو وحدي» فخرج بسبعين راكبا إلى بدر الصغرى فكف الله بأس الكفار بإلقاء الرعب في قلوبهم، ومنع أبي سفيان عن الخروج كما تقدم في آل عمران"([58]).

مما تقدم يتبين أن ما جاء في هذه الآيات (71-84)، حول القتال هو حصريٌّ لتلك الفترة الزمنية. فبعدما تتكلم عن المنافقين تتوجه بالكلام إلى النبي (ص) وتأمره بأن يقاتل ولو وحيدًا، وتدعوه أيضًا إلى تحريض المؤمنين على القتال إلى جانبه. وها هما الجلالان يؤكدان بأن ذلك كان خاصًا بواقعة بدر الصغرى.

الآيات (88-91 النساء):

{فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا * (88) وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتَّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا * (89) إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَآؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُواْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا * (90) سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوَاْ إِلَى الْفِتْنِةِ أُرْكِسُواْ فِيِهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوَاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَـئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا * (91)}.

أسباب نزول الآية (88 النساء):

"روى الشيخان وغيرهما عن زيد بن ثابت: أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم خرج إلى أُحُد فرجع ناس خرجوا معه، فكان أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم فيهم فرقتين فرقة تقول نقتلهم، وفرقة تقول لا. فأَنزل الله: {فَمَا لَكُمْ في ٱلْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ}. وأَخرج سعيد بن منصور، وابن أبي حاتم عن سعد بن معاذ قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلّم النَّاس، فقال: من لي بمن يؤذيني ويجمع في بيته من يؤذيني، فقال سعد بن معاذ: إنْ كان من الأَوس قتلناه، وإنْ كان من إخواننا من الخزرج أَمرتنا فأَطعناك. فقام سعد بن عبادة فقال: ما بك يا ابن معاذ طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلّم، ولقد عرفت ما هو منك. فقام أُسيد بن حضير فقال: إنَّك يا ابن عبادة منافق تحب المنافقين. فقام محمد بن مسلمة فقال: اسكتوا يا أَيُّها النَّاس فإنَّ فينا رسول الله صلى الله عليه وسلّم وهو يأمرنا فننفِّذُ أَمره، فأَنزل الله: {فَمَا لَكُمْ في ٱلْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ} الآية. وأَخرج أحمد عن عبد الرحمن بن عوف: أَنَّ قومًا من العرب أَتوا رسول الله صلى الله عليه وسلّم بالمدينة فأَسلموا وأَصابهم وباء المدينة وحُمَّاها، فأركسوا فخرجوا من المدينة فاستقبلهم نفر من الصحابة، فقالوا لهم: ما لكم رجعتم؟ قالوا: أَصابنا وباء المدينة فقالوا: أما لكم في رسول الله أسوة حسنة؟ فقال بعضهم: نافقوا. وقال بعضهم: لم ينافقوا. فأَنزل الله: {فَمَا لَكُمْ في ٱلْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ} الآية. في إسناده تدليس وانقطاع" ([59]).

أسباب نزول الآية (90 النساء):

"أَخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن الحسن: أَنَّ سراقة بن مالك المدلجي حدَّثهم قال: لما ظهر النَّبي صلى الله عليه وسلّم على أَهل بدر وأُحُد وأَسلم من حولهم قال سراقة: بلغني أَنه يريد أَنْ يبعث خالد بن الوليد إلى قومي بني مدلج فأَتيته فقلت: أُنشدك النِّعمة، بلغني أَنَّك تريد أَن تبعث إلى قومي وأَنا أُريد أَن توادعهم، فإِن أَسلم قومك أَسلموا ودخلوا في الإِسلام، وإن لم يسلموا لم يحسن تغليب قومك عليهم. فأَخذ رسول الله صلى الله عليه وسلّم بيد خالد، فقال: اذهب معه فافعل ما يريد. فصالحهم خالد على أَن لا يعينوا على رسول الله صلى الله عليه وسلّم وإِنْ أَسلمت قريش أَسلموا معهم، وأَنزل الله: {إِلا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْم بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ} فكان من وصل إليهم كان معهم على عهدهم. وأَخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: نزلت: {إِلا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْم بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ} في هلال بن عويمر الأَسلمي وسراقة بن مالك المدلجي، وفي بني جذيمة بن عامر بن عبد مناف. وأَخرج أَيضًا عن مجاهد أَنَّها نزلت في هلال بن عويمر الأَسلمي، وكان بينه وبين المسلمين عهد، وقصده ناس من قومه فكره أَن يقاتل المسلمين وكره أَن يقاتل قومه"([60]).

في تفسير الجلالين للآيات (88-91 النساء):

"88- ولما رجع ناس من أُحُد اختلف الناس فيهم فقال فريق: نقتلهم، وقال فريق: لا. فنزل {فَمَا لَكُمْ} أي ما شأنكم؟ صرتم {في ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ} فرقتين {وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم} ردهم {بِمَا كَسَبُوۤا} من الكفر والمعاصي {أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ} ـه {ٱللَّهُ} أي تعدّوهم من جملة المهتدين؟ والاستفهام في الموضعين للإنكار {وَمَن يُضْلِلِ} ـه {ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلا} طريقا إلى الهدى. 89- {وَدُّوا} تمنوا {لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ} أنتم وهم {سَوَآءً} في الكفر {فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ} توالونهم وإن أظهروا الإيمان {حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا في سَبِيلِ ٱللَّهِ} هجرة صحيحة تحقق إيمانهم {فَإِن تَوَلَّوْا} وأقاموا على ما هم عليه {فَخُذُوهُمْ} بالأسر {وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا} توالونه {وَلا نَصِيرًا} تنتصرون به على عدوّكم. 90- {إِلا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ} يلجؤون {إِلَىٰ قَوْمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ} عهد بالأمان لهم ولمن وصل إليهم، كما عاهد النبي صلى الله عليه وسلّم هلال بن عويمر الأسلمي {أَوْ} الذين {جَآءُوكُمْ} وقد{حَصِرَتْ} ضاقت {صُدُورُهُمْ} عن {أن

يُقَـاتِلُوكُمْ} مع قومهم {أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْۚ} معكم، أي ممسكين عن قتالكم وقتالهم فلا تتعرّضوا إليهم بأخذ ولا قتل. {وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ} تسليطهم عليكم {لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ} بأن يقوّي قلوبهم {فَلَقَاتَلُوكُمْۚ} ولكنه لم يشأ فألقى في قلوبهم الرعب {فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَـاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ} الصلح أي انقادوا {فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلا} طريقا بالأخذ والقتل. 91- {سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ} بإظهار الإيمان عندكم {وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ} بالكفر إذا رجعوا إليهم وهم [بنو] أسد وغطفان {كُلَّ مَا رُدُّوَا إِلَى ٱلْفِتْنَةِ} دعوا إلى الشرك {أُرْكِسُوا فِيهَاۚ} وقعوا أشدّ وقوع {فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ} بترك قتالكم {و} لم {يُلْقُوَا إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوَا أَيْدِيَهُم} عنكم {فَخُذُوهُمْ} بالأسر {وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْۚ} وجدتموهم {وَأُوْلَـٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا} برهانا بينا ظاهرا على قتلهم وسبيهم لغدرهم" ([61]).

هذه الآيات (88-91) تتكلم عن المنافقين في يوم أُحد، وأن الله أباح قتلهم إذا لم يرتدعوا عما فعلوه من الخيانة. وهذا بالتأكيد لن يحصل إلا بأمر النبي (ص)، الذي كان يومها الآمر الوحيد. فهذه الآيات بالتالي مخصصة لتلك الحقبة من الزمن. ثم ما هو عقاب الخائن في الحرب في القوانين العسكرية؟

الآيتان (94-95 النساء):

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * (94) لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُـلًا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * (95)}

أسباب نزول الآية (94 النساء):

"روى البخاري، والترمذي، والحاكم، وغيرهم عن ابن عباس قال: مرَّ رجل من بني سُلَيم بنفر من أَصحاب النَّبي صلى الله عليه وسلّم وهو يسوق غنمًا له، فسلَّم عليهم فقالوا: ما سلَّم علينا إلاَّ ليتعوَّذ منا، فعمدوا إليه فقتلوه وأَتَوا بغَنِمه النَّبي صلى الله عليه وسلّم، فنزلت: {يا أيها ٱلَّذِينَ آمَنُوَا إِذَا ضَرَبْتُمْ} الآية. وأخرج البزار من وجه آخر عن ابن عباس قال: بعث رسول الله صلى الله عليه

وسلّم سرية فيها المقداد، فلما أَتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا وبقي رجلٌ له مال كثير، فقال: أَشهد أَن لا إله إلاَّ الله، فقتله المقداد، فقال له النَّبي صلى الله عليه وسلّم: كيف لك بلا إله إلاَّ الله غدًا، وأَنزل الله هذه الآية. وأَخرج أحمد، والطبراني، وغيرهما عن عبد الله بن أَبي حدرد الأَسلمي قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم في نفرٍ من المسلمين فيهم أَبو قتادة، ومحلم بن جثَّامة، فمر بنا عامر بن الأضبط الأَشجعي، فسلَّم علينا فحمل عليه محلم فقتله، فلمَّا قدمنا على النَّبي صلى الله عليه وسلّم وأَخبرناه الخبر نزل فينا القرآن: {يا أيها ٱلَّذِينَ آمَنُوَا إِذَا ضَرَبْتُمْ في سَبِيلِ ٱللَّهِ} الآية. وأَخرج ابن جرير من حديث ابن عمر نحوه. وأَخرج الثعلبي من طريق الكلبي، عن أَبي صالح، عن ابن عباس: أَنَّ اسم المقتول مِرداس بن نِهيك من أَهل فدك، وأَنَّ اسم القاتل أُسامة بن زيد، وأَن اسم أَمير السَّرِية غالب بن فُضالة اللَّيثي، وأَنَّ قوم مرداس لما انهزموا بقي هو وحده، وكان أَلجأَ غنمه بجبل، فلمَّا لحقوه قال: لا إله إلاَّ الله محمدٌ رسول الله، السَّلام عليكم، فقتله أُسامة بن زيد، فلمَّا رجعوا أُنزلت الآية. وأَخرج ابن جرير من طريق السدي نحوه. وأخرج عبد من طريق قتادة نحوه. وأَخرج ابن أَبي حاتم من طريق ابن لهيعة عن أَبي الزُّبير عن جابر قال: أُنزلت هذه الآية {وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَامَ} في مرداس، وهو شاهد حسن. وأخرج ابن مندة عن جزء بن الحدرجان قال: وفد أخي مقداد إلى النبي (ص) من اليمن فلقِيَتْه سرية النبي (ص) فقال: أنا مؤمن فلم يقبلوا منه وقتلوه، فبلغني ذلك فخرجت إلى رسول الله (ص)، فنزلت {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ} فأعطاني النبي (ص) دِيّةَ أخي"([62]).

أسباب نزول الآية (95 النساء):

"روى البخاري عن البراء قال: لما نزلت: {لاَّ يَسْتَوِى ٱلْقَاعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ} قال النَّبي صلى الله عليه وسلّم: أُدع فلانًا فجاء ومعه الدواة واللَّوح أو الكتف، فقال اكتب: {لاَّ يَسْتَوِى ٱلْقَاعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَاهِدُونَ في سَبِيلِ ٱللَّهِ} وخَلْفَ النَّبي صلى الله عليه وسلّم ابن أم مكتوم، فقال يا رسول الله: أَنا ضرير، فنزلت مكانها {لا يَسْتَوِى ٱلْقَاعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ}. وروى البخاري وغيره من حديث زيد بن ثابت. والطبراني من حديث زيد بن أَرقم، وابن حبان من حديث الفلتان بن عاصم نحوه. وروى الترمذي نحوه من حديث ابن عباس وفيه قال عبد

الله بن جحش وابن أم مكتوم: إنَّا أَعميان. وقد سيقت أحاديثهم في ترجمان القرآن. وعند ابن جرير من طرق كثيرة مرسلة نحو ذلك"([63]).

في تفسير الجلالين للآيتين (94-95 النساء):

"94- ونزل لما مر نفر من الصحابة برجل من بني سُليم وهو يسوق غنما فسلّم عليهم فقالوا ما سلم علينا إلا تقية، فقتلوه واستاقوا غنمه: {يا أيها ٱلَّذِينَ آمَنُوٓا إِذَا ضَرَبْتُمْ} سافرتم للجهاد {في سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا} وفي قراءة فتثبتوا في الموضعَين {وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَامَ} بألف أو دونها، أي التحية أو الانقياد بقوله كلمة الشهادة التي هي إمارة على الإسلام {لَسْتَ مُؤْمِنًا} وإنما قلت هذا تقية لنفسك ومالك فتقتلوه {تَبْتَغُونَ} تطلبون بذلك {عَرَضَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا} متاعها من الغنيمة {فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌۚ} تغنيكم عن قتل مثله لماله {كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ} تعصم دماؤكم وأموالكم بمجرّد قولكم الشهادة {فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ} بالاشتهار بالإيمان والاستقامة {فَتَبَيَّنُوا} أن تقتلوا مؤمنا وافعلوا بالداخل في الإسلام كما فُعل بكم {إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} فيجازيكم به. 95- {لا يَسْتَوِى ٱلْقَاعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ} عن الجهاد {غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ} بالرفع: صفة، والنصب: استثناء، من زمانة أو عمى أو نحوه {وَٱلْمُجَاهِدُونَ في سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَاعِدِينَ} لضرر {دَرَجَةًۚ} فضيلة لاستوائهما في النية وزيادة المجاهدين بالمباشرة {وَكُـلا} من الفريقين {وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ} الجنة {وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَاهِدِينَ عَلَى ٱلْقَاعِدِينَ} لغير ضرر {أَجْرًا عَظِيمًا} ويبدل منه.([64])

نفهم من الآية (94) أن الله تعالى ينهى عن تكفير، أو نفي صفة الإيمان، عمن نطق بالشهادة. وبوجوب عدم التسرع في الحكم على أعمال وأقوال ونوايا الآخرين من دون التثبت. وهل في هذا ما يشوب تعاليم الإسلام؟ أما الآية (95) فتبين الفرق بين المؤمنين المتخلفين عن الجهاد لغير عِلَّة تمنعهم، والمؤمنين المجاهدين بأموالهم وأنفسهم. والجهاد بالنفس، كما بيّنّا سابقًا، لا يكون بالسيف وحده بل أهمه بالعمل الصالح والكلمة الطيبة، وبالقيام بكلِّ ما يبين للناس تعاليم الإسلام الحقَّة من صدق ووفاء عهد وسلوك حسن...

الآيات (101-104 النساء):

{وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا * (101) وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا * (102) فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا * (103) وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * (104)}:

أسباب نزول الآيتين (101-102 النساء):

"أَخرج ابن جرير عن علي قال: سأَل قوم من التجار رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فقالوا: يا رسول الله إنَّا نضرب في الأرض فكيف نصلّي؟ فأَنزل الله: {وَإِذَا ضَرَبْتُمْ في ٱلأرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ ٱلصَّلاةِ} ثمَّ انقطع الوحي، فلمَّا كان بعد ذلك بحَوْلٍ غزا النَّبيُّ صلى الله عليه وسلّم فصلَّى الظهر، فقال المشركون: لقد أَمْكَنَكُم مُحَمَّدٌ وأَصحابه من ظهورهم هلاَّ شددتم عليهم؟ فقال قائل منهم: إنَّ لهم أُخرى مثلها في إثرها، فأَنزل الله بين الصلاتين: {إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ} إلى قوله: {عَذَابًا مُّهِينًا} فنزلت صلاة الخوف"([65]).

في تفسير الجلالين للآيات (101-104 النساء):

"101- {وَإِذَا ضَرَبْتُمْ} سافرتم {في ٱلارْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ} في {أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ} بأن تردّوها من أربع إلى اثنتين {إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ} أي ينالكم بمكروه {ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ} بيان للواقع إذ ذاك فلا مفهوم له. وبينت السنة أنّ المراد بالسفر: الطويل، وهو أربعة بُرُدٍ([66])، وهي مرحلتان ويؤخذ من قوله: {فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ} أنه رخصة لا واجب، وعليه الشافعي {إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا} بيّني العداوة. 102- {وَإِذَا كُنتَ} يا محمد حاضرا {فِيهِمْ} وأنتم تخافون العدوّ {فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ} وهذا جري على عادة القرآن في الخطاب {فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ} وتتأخر طائفة {وَلْيَأْخُذُوا} أي الطائفة التي قامت معك {أَسْلِحَتَهُمْ} معهم {فَإِذَا سَجَدُوا} أي صلوا

{فَلْيَكُونُوا} أي الطائفة الأخرى {مِن وَرَائِكُمْ} يحرسون إلى أن تقضوا الصلاة وتذهب هذه الطائفة تحرس {وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ} معهم إلى أن تقضوا الصلاة وقد فعل النبي (ص) كذلك ببطن نخل. رواه الشيخان {وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ} إذا قمتم إلى الصلاة {عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً واحِدَةًۚ} بأن يحملوا عليكم فيأخذوكم، وهذا علّة الأمر بأخذِ السلاح {وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوَا أَسْلِحَتَكُمْ} فلا تحملوها، وهذا يفيد إيجاب حملها عند عدم العذر. وهو أحد قولين للشافعي، والثاني: أنه سنة ورجح {وَخُذُوا حِذْرَكُمْۗ} من العدوّ أي احترزوا منه ما استطعتم {إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا} ذا إهانة. 103- {فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَاةَ} فرغتم منها {فَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ} بالتهليل والتسبيح {قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْۚ} مضطجعين أي في كل حال {فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ} أَمنتم {فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ} أدّوها بحقوقها {فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَاةَ فَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ قِيَامًا} مكتوبـًا أي مفروضا {مَّوْقُوتًا} أي مقدّرا وقتها فلا تؤخر عنه. ونزل لما بعث صلى الله عليه وسلّم طائفة في طلب أبي سفيان وأصحابه لما رجعوا من أُحُد فشكوا الجراحات: 104- {وَلا تَهِنُوا} تضعفوا {في ٱبْتِغَآءِ} طلب {ٱلْقَوْمِ} الكفار لتقاتلوهم {إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ} تجدون ألم الجراح {فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ} أي مثلكم ولا يجبنون عن قتالكم {وَتَرْجُونَ} أنتم {مِّنَ ٱللَّهِ} من النصر والثواب عليه {مَا لا يَرْجُونَ} هم فأنتم تزيدون عليهم بذلك فينبغي أن تكونوا أرغب منهم فيه {وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا} بكل شيء {حَكِيمًا} في صنعه" .(67)

في هذه الآيات (101-104) سماحٌ للمؤمنين بأن يقصروا من الصلاة في أثناء السفر أو لاتقاء الخطر من أي نوعٍ كان. كما توصي بأخذ الحذر كأن تقام صلاة الجماعة على فئتين، بحيث تحرس الواحدة الأخرى، واتقاء الخطر واجب على كلِّ إنسانٍ وعلى أي شريعة كان. وهذه تعليمات ينبغي الأخذ بها في جميع الأمكنة والأزمنة، وما إدراجها بين آيات الجهاد إلا للتنبيه بوجوب أخذ الحذر.

من سورة المائدة (آياتها مدنية):

الآية (35 المائدة):

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ *} (35)

في هذه الآية حضٌّ على الجهاد في سبيل الله. وكما قلنا سابقًا، الجهاد لا يكون دومًا بالقتال.

الآية (54 المائدة):

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * (54)}.

تتكلم هذه الآية عمن يرتدّ عن الدين، وليس فيها أيُّ إشارة على وجوب قتله أو قتاله. وما أفهمه منها أن الله تعالى سيعوض المسلمين بغير أولئك المرتدين بقومٍ يعضدونهم في الجهاد في سبيله. ونكرر هنا أيضًا أن الجهاد لا يكون دومًا بالقتال.

من سورة الأنفال:

الآيات (6-21 الأنفال) (مدنية):

{يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ * (6) وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ * (7) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ * (8) إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ * (9) وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * (10) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ * (11) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ * (12) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * (13) ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ * (14) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ * (15) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ

أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * (16) فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَنًا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * (17) ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ * (18) إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ * (19) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ * (20) وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ * (21)}.

أسباب نزول الآية (الأنفال 9):

"روى الترمذي عن عمر بن الخطاب قال: نظر نبيُّ الله صلى الله عليه وسلّم إلى المشركين وهم أَلف وأَصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا، فاستقبل القبلة ثم مدَّ يديه وجعل يهتف بربه: اللهم أَنجز لي ما وعدتني اللَّهم إنْ تُهلك هذه العصابة من أَهل الإِسلام لا تُعبد في الأَرض. فما زال يهتف بربه مادًّا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه، فأَتاه أَبو بكر فأَخذ رداءه وأَلقاه على منكبيه ثمَّ التزمه من ورائه وقال: يا نبيَّ الله كفاك مناشدتك ربَّك فإنَّه سينجز لك ما وعدك فأَنزل الله: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَائكَةِ مُرْدِفِينَ} فأَمدَّهم الله بالملائكة"([68]).

أسباب نزول الآية (الأنفال 19):

"روى الحاكم عن عبد الله بن ثعلبة بن صغير قال: كان المستفتح أَبا جهل فإنَّه قال حين التقى القوم: اللَّهم أَيُّنا كان أَقطع للرَّحم، وأتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة. وكان ذلك استفتاحًا فأَنزل الله: {إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ} إلى قوله: {وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ}. أخرج ابن أَبي حاتم عن عطية قال: قال أبو جهل يوم بدر: اللهم انصر أَعزّ الفئتين وأَكرم الفرقتين، فنزلت"([69]).

في تفسير الجلالين للآيات (6-21 الأنفال):

"6- {يُجَادِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ} القتال {بَعْدمَا تَبَيَّنَ} ظهر لهم {كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ} إليه عيانا في كراهتهم له. 7- {وَ} اذكر {إِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ} العير أو النفير {أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ} تريدون {أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ} أي البأس والسلاح وهي العير {تَكُونُ لَكُمْ} لقلة عَدَدِها ومُددها بخلاف النفير {وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ} يظهره {بِكَلِمَاتِهِ} السابقة بظهور الإِسلام

{وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ} آخرهم بالاستئصال فأمركم بقتال النفير. 8- {لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ} يمحق {ٱلْبَاطِلَ} الكفر {وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ} المشركون ذلك. 9- اذكر {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ} تطْلبونَ منه الغوث بالنصر عليهم {فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي} أي بأني {مُمِدُّكُم} معينكم {بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَائكَةِ مُرْدِفِينَ} متتابعين يردف بعضُهم بعضا، وعدهم بها أولًا ثم صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة كما في آل عمران. وقرىء «بآلُف» كأفلُس جمع. 10- {وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ} أي الإمداد {إِلا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}. 11- اذكر {إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً} أمنا مما حصل لكم من الخوف {مِنْهُ} تعالى {وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ} من الأحداث والجنابات {وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ} وسوسته إليكم بأنكم لو كنتم على الحقّ ما كنتم ظمأى محدثين والمشركون على الماء {وَلِيَرْبِطَ} يحبس {عَلَىٰ قُلُوبِكُم} باليقين والصبر {وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلاقْدَامَ} أن تسوخ في الرمل. 12- {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَائكَةِ} الذين أمدّ بهم المسلمين {إِنِّيَ} أي بأني {مَّعَكُمْ} بالعون والنصر {فَثَبِّتُوا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ} بالإعانة والتبشير {سَأُلْقِى فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ} الخوف {فَٱضْرِبُوا فَوْقَ ٱلاعْنَاقِ} أي الرؤوس {وَٱضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} أي أطراف اليدين والرجلين، فكان الرجل يقصد ضرب رقبة الكافر فتسقط قبل أن يصل إليه سيفه، ورماهم صلى الله عليه وسلّم بقبضة من الحصى فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه منها شيء فهزموا. 13- {ذَٰلِكَ} العذاب الواقع بهم {بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا} خالفوا {ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ} له. 14- {ذَٰلِكُمْ} العذاب {فَذُوقُوهُ} أيها الكفار في الدنيا {وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ} في الآخرة {عَذَابَ ٱلنَّارِ}. 15-

{يا أيها ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا} أي مجتمعين كأنهم لكثرتهم يزحفون {فَلا تُوَلُّوهُمُ ٱلادْبَارَ} منهزمين. 16- {وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ} أي يوم لقائهم {دُبُرَهُۥ إِلا مُتَحَرِّفًا} منعطفا {لِّقِتَالٍ} بأن يريهم الفرّة مكيدة وهو يريد الكرة {أَوْ مُتَحَيِّزًا} منضما {إِلَىٰ فِئَةٍ} جماعة من المسلمين يستنجد بها {فَقَدْ بَآءَ} رجع {بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ} المرجع هي. وهذا مخصوص بما إذا لم يزد الكفار على الضعف. 17- {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ} ببدر بقوّتكم {وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ} بنصره إياكم {وَمَا رَمَيْتَ} يا محمد صلى الله عليه وسلّم أعين القوم {إِذْ رَمَيْتَ} بالحصى لأنّ كفًا من الحصى لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بشر {وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ} بإيصال ذلك إليهم، فعل ذلك ليقهر الكافرين {وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً} عطاء {حَسَنًا} هو الغنيمة {إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ} لأقوالهم {عَلِيمٌ} بأحوالهم. 18- {ذَٰلِكُمْ} الإبلاء

حقّ {وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ} مضعف {كَيْدِ ٱلْكَافِرِينَ}. 19- {إِن تَسْتَفْتِحُوا} أيها الكفار أي تطلبوا الفتح أي القضاء حيث قال أبو جهل منكم: اللهم أيُّنَا كان أقطعَ للرحم وأتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة: أي أهلكه {فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ} القضاء بهلاك من هو كذلك وهو أبو جهل ومن قتل معه دون النبي صلى الله عليه وسلّم والمؤمنين {وَإِن تَنتَهُوا} عن الكفر والحرب {فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَإِن تَعُودُوا} لقتال النبي صلى الله عليه وسلّم {نَعُدٌّ} لنصره عليكم

{وَلَن تُغْنِيَ} تدفع {عَنكُمْ فِئَتُكُمْ} جماعاتكم {شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ} بكسر «إن» استئنافا وفتحها على

تقدير اللام. 20- {يا أيها ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ

وَلا تَوَلَّوْا} تعرضوا {عَنْهُ} بمخالفة أمره {وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ} القرآن والمواعظ. 21- {وَلا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ} سماع تدبر واتعاظ وهم المنافقون أو المشركون"([70]).

فمن قراءة هذه الآيات (6-21) ومما جاء في أسباب نزول بعضها وفي تفسير الجلالين، يتضح مليًّا بأنها تخص الفترة التي نزلت فيها، بما فيها من رفع معنويات وتعليمات في الأعمال الحربية في تلك الفترة. وفي تفسير الطبري أنها تتحدث عن يوم بدر.

الآية (26 الأنفال) (مدنية):

{وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * (26)}

في تفسير الجلالين للآية (26 الأنفال):

"26- {وَٱذْكُرُوَا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ في ٱلارْضِ} أرض مكة {تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ} يأخذكم الكفار بسرعة {فَـآواكُمْ} إلى المدينة {وَأَيَّدَكُم} قوّاكم {بِنَصْرِهِ} يوم بدر بالملائكة {وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَاتِۚ} الغنائم {لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} نعمه"([71]).

أليس واضحًا من نص هذه الآية (26) ومما قاله الجلالان، أنها ظرفيةٌ كسابقاتها ومخصصة ليوم نزولها؟ وأنها لرفع معنويات المؤمنين في تلك الحقبة؟ وفي تفسير الطبري أيضاً أنها تتحدث عن يوم بدر.

الآية (30 الأنفال) (مكية):

{وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ * (30)}

في تفسير الجلالين للآية 30 الأنفال):

"30- اذكر يا محمد صلى الله عليه وسلّم {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا} وقد اجتمعوا للمشاورة في شأنك بدار الندوة {لِيُثْبِتُوكَ} يوثقوك ويحبسوك {أَوْ يَقْتُلُوكَ} كلهم قتلة رجل واحد {أَوْ يُخْرِجُوكَۚ} من مكة {وَيَمْكُرُونَ} بك {وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ} بهم بتدبير أمرك بأن أوحى إليك ما دبّروه وأمرك بالخروج {وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ} أعلمهم به"([72]).

مما جاء في تفسير الجلالين وتفسير الطبري فهذه الآية (30 الأنفال)، تفيد بأن الله تعالى قد أوحى إلى نبيه الكريم، بأن قريشًا قد تآمرت على قتله، وهذا عشية هجرته إلى المدينة. وهي بالتالي خاصة بيوم نزولها.

الآيات (38-49 الأنفال) (مدنية):

{قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينِ * (38) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * (39) وَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَوْلاَكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ * (40) وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * (41) إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتَّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَـكِن لِّيَقْضِيَ اللّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ * (42) إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَـكِنَّ اللّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * (43) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ * (44) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ * (45) وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ *

(46) وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ * (47) وَإِذْ
زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ
النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ* (48) إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـؤُلاء دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ *(49)}

أسباب نزول الآية (47 الأنفال):

"أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: لما خرجت قريش من مكة إلى بدر خرجوا بالقيان والدفوف، فأنزل الله: {وَلا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا} الآية"([73]).

أسباب نزول الآية (49 الأنفال):

"روى الطبراني في الأوسط بسند ضعيف عن أبي هريرة قال: لما أنزل الله على نبيه بمكة: {سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ}. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله أيُّ جمع؟ وذلك قبل بدر، فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم في آثارهم مصلتًا بالسيف يقول: {سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ}. فكانت بيوم بدر، فأنزل الله فيهم: {حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ} الآية، وأنزل: {أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا}. ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلّم فوسعتهم الرمية وملأت أعينهم وأفواههم، حتَّى إنَّ الرَّجل ليقتل وهو يقذي عينيه وفاه، فأنزل الله: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ} وأنزل في إبليس: {فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ} الآية، وقال عتبة بن ربيعة وناس معه من المشركين يوم بدر: غرَّ هؤلاء دينهم، فأنزل الله: {إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـٰٓؤُلاءِ دِينُهُمْ}"([74]).

في تفسير الجلالين:

"38. {قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا} كأبي سفيان وأصحابه {إِن يَنتَهُوا} عن الكفر وقتال النبي صلى الله عليه وسلّم {يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ} من أعمالهم {وَإِن يَعُودُوا} إلى قتاله {فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلاوَّلِينَ} أي سنتنا فيهم بالإهلاك فكذا نفعل بهم. 39. {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ} توجد {فِتْنَةٌ} شرك {وَيَكُونَ

ٱلدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِۚ} وحده ولا يُعْبَدُ غيره {فَإِنِ ٱنتَهَوْا} عن الكفر {فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} فيجازيهم به. 40. {وَإِن تَوَلَّوْا} عن الإيمان {فَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَاكُمْۚ} ناصركم ومتولي أموركم {نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ} هو {وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ} أي الناصر لكم. 41- {وَٱعْلَمُوٓا أَنَّمَا غَنِمْتُم} أخذتم من الكفار قهرا {مِّن شَىْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ} يأمر فيه بما شاء {وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ} قرابة النبي صلى الله عليه وسلّم من بني هاشم وبني المطلب {وَٱلْيَتَامَىٰ} أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء {وَٱلْمَسَاكِينِ} ذوي الحاجة من المسلمين {وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ} المنقطع في سفره من المسلمين أي يستحقه النبي صلى الله عليه وسلّم والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكلٍّ خُمسَ الخمس والأخماس الأربعة الباقية للغانمين. فاعلموا ذلك {وَمَآ} عطف على «بالله» {أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا} محمد صلى الله عليه وسلّم من الملائكة والآيات {يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ} أي يوم بدر الفارق بين الحق والباطل {يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ} المسلمون والكفار {وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ} ومنه نصركم مع قلتكم وكثرتهم. 42- {إِذْ} بدل من «يوم» {أَنتُمْ} كائنون {بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا} القربى من المدينة، وهي بضم العين وكسرها: جانب الوادي {وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ} البعدى منها {وَٱلرَّكْبُ} العير كائنون بمكان {أَسْفَلَ مِنكُمْ} مما يلي البحر {وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ} أنتم والنفير للقتال {لاخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَادِ وَلَـٰكِن} جمعكم بغير ميعاد {لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا} في علمه وهو نصر الإسلام ومحق الكفر، فعل ذلك {لِيُهْلِكَ} يكفر {مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ} أي بعد حجة ظاهرة قامت عليه وهي نصر المؤمنين مع قلتهم على الجيش الكثير يؤمن {وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنْ بَيِّنَةٍۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ}. 43- اذكر {إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ في مَنَامِكَ} أي نومك {قَلِيلا} فأخبرت به أصحابك فسرُّوا {وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ} جبنتم {وَلَتَنَازَعْتُمْ} اختلفتم {في ٱلامْرِ} أمر القتال {وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ} ـكم من الفشل والتنازع {إِنَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ} بما في القلوب. 44- {وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ} أيها المؤمنون {إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلا} نحو سبعين أو مائة وهم ألف، لتقدموا عليهم {وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ} ليقدموا ولا يرجعوا عن قتالكم، وهذا قبل التحام الحرب، فلما التحم أراهم إياهم مثليهم كما في آل عمران {لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ} تصير {ٱلامُورُ}. 45- {يا أيها ٱلَّذِينَ آمَنُوٓا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً} جماعة كافرة {فَٱثْبُتُوا} لقتالهم ولا تنهزموا {وَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ كَثِيرًا} ادعوه بالنصر {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} تفوزون. 46- {وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلا تَنَازَعُوا} تختلفوا فيما بينكم {فَتَفْشَلُوا} تجبنوا {وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} قوّتكم ودولتكم {وَٱصْبِرُوٓاۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ} بالنصر والعون. 47- {وَلا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم} ليمنعوا عِيرهم ولم يرجعوا بعد نجاتها {بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ} حيث قالوا: لا نرجع حتى نشرب الخمر وننحر الجزور،

وتضرب علينا القيان ببدر فيتسامع بذلك الناس {وَيَصُدُّونَ} الناس {عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ} بالياء والتاء {مُحِيطٌ} علما فيجازيهم به. 48- {و}اذكر {إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ} إبليس {أَعْمَالَهُمْ} بأن شجعهم على لقاء المسلمين لما خافوا الخروج من أعدائهم بني بكر {وَقَالَ} لهم {لا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ} من كنانة، وكان أتاهم في صورة سراقة بن مالك سيد تلك الناحية {فَلَمَّا تَرَآءَتِ} التقت {ٱلْفِئَتَانِ} المسلمة والكافرة ورأى الملائكة وكان يده في يد الحارث بن هشام {نَكَصَ} رجع {عَلَىٰ عَقِبَيْهِ} هاربا {وَقَالَ} لما قالوا له: أتخذلنا على هذا الحال؟ {إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ} من جواركم {إِنِّيَ أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ} من الملائكة {إِنِّيَ أَخَافُ ٱللَّهَ} أن يهلكني {وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ}. 49- {إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} ضعفُ اعتقاد {غَرَّ هَـٰٓؤُلاءِ} أي المسلمين {دِينُهُمُ} إذ خرجوا مع قلتهم يقاتلون الجمع الكثير توهما أنهم ينصرون بسببه. قال تعالى في جوابهم: {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ} يثق به يغلب {فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ} غالب على أمره {حَكِيمٌ} في صنعه"([75]).

من قراءة هذه الآيات (38-49)، ومما جاء في أسباب نزول بعضها ومما قاله الجلالان، ومن قوله لكفار مكة بأنه تعالى سيغفر لهم ما سلف من خطاياهم في حال كفُّوا عن محاربة النبي وآمنوا برسالته، يتبين لنا بوضوح أنّ ما جاء فيها عن القتال خاصٌّ بأحداث معركة بدر.

الآيات (56-75 الأنفال) (مدنية):

{الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ *(56) فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ *(57) وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ *(58) وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ *(59) وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ *(60) وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ *(61) وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ *(62) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ *(63) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ *(64)

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ *(65) الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * (66) مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ *(67) لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ *(68) فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلًا طَيِّبًا وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ *(69) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ *(70) وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ *(71) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *(72) وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ *(73) وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ *(74) وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَـئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *(75)}

أسباب نزول الآية (58 الأنفال):

"روى أبو الشيخ عن ابن شهاب قال: دخل جبريل
على رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فقال: قد وضعتَ السلاح وما زلنا في طلب القوم، فاخرجْ فإنَّ الله قد أَذِنَ
لك في قريظة، وأَنزل فيهم: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً} الآية"([76]).

أسباب نزول الآية (الأنفال 64):

"روى البزار بسند ضعيف من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: لما أَسلم عمر قال المشركون: قد انتصف القوم منَّا اليوم، وأَنزل الله: {يا أيها ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ} وله شواهد. أَخرج الطبراني وغيره من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما أَسلم مع النَّبيِّ صلى الله عليه وسلّم تسعة وثلاثون رجلًا وامرأَةً، ثمَّ إنَّ عمر أَسلم فكانوا أَربعين

نزل: {يا أيها ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ} الآية. وأَخرج ابن أَبي حاتم بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال: لما أَسلم مع النَّبيِّ صلى الله عليه وسلّم ثلاثة وثلاثون رجلًا وست نسوة. ثمَّ أَسلم مع النبي صلى الله عليه وسلّم عمر نزلت: {يا أيها ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ}
الآية. وأَخرج أَبو الشيخ عن سعيد بن المسيب قال: لما
أَسلم عمر أَنزل الله في إسلامه: {يا أيها ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ} الآية"([77]).

أسباب نزول الآية (65 الأنفال):

"أَخرج إسحاق بن راهويه في مسنده عن ابن عباس قال: لما افترض الله عليهم أن يقاتل الواحد عشرة، ثَقُل ذلك عليهم وشقَّ فوضع الله عنهمْ إلى أَنْ يقاتل الواحد الرَّجلين، فأَنزل الله: {إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صابرون يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِۚ} إلى آخر الآية"([78]).

أسباب نزول الآية (67 الأنفال):

"روى أحمد وغيره عن أَنس قال: استشار النَّبي صلى الله عليه وسلّم النَّاس في الأَسارى يوم بدر، فقال: إنَّ الله قد أَمكنكم منهم، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله اضرب أَعناقهم. فأَعرض عنه، فقام أَبو بكر فقال: نرى أَن تعفو عنهم وأَن تقبل منهم الفداء. فعفا عنهم وقبل منهم الفداء، فأَنزل الله: {لَّوْلا كِتَابٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ} الآية. وروى أَحمد، والترمذي، والحاكم، عن ابن مسعود قال: لما كان يوم بدر وجيء بالأَسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: ما تقولون في هؤلاء الأَسارى، الحديث، وفيه فنزل القرآن بقول عمر: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ} إلى آخر الآيات. وأَخرج الترمذي عن أبي هريرة عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلّم قال: لم تحل الغنائم لأحد سود الرؤوس من قبلكم إنَّما كانت تنزل نار من السماء فتأكلها، فلمَّا كان يوم بدر وقعوا في الغنائم قبل أَن تحلَّ لهم، فأَنزل الله: {لَّوْلا كِتَابٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} "([79]).

أسباب نزول الآية (الأنفال 70):

"روى الطبراني في الأَوسط عن ابن عباس قال: قال العباس: فيَّ والله نزلت، حين أَخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلّم بإسلامي وسأَلته أَن يحاسبني بالعشرين أُوقية التي وجدت معي، فأَعطاني بها عشرين عبدًا كلّهم تاجر بمالي في يده مع ما أَرجو من مغفرة الله"([80]).

أسباب نزول الآية (73 الأنفال):

"أَخرج ابن جرير، وأَبو الشَّيخ، عن السّدي عن أَبي مالك قال: قال رجل: نورث أَرحامنا المشركين فنزلت: {وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ}"([81]).

أسباب نزول الآية (75 الأنفال):

"أَخرج ابن جرير عن ابن الزبير قال: كان الرجل يعاقد الرجل ترثني وأَرثك، فنزلت: {وَأُوْلُوا ٱلأرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللَّهِۗ} الآية. وأَخرج ابن سعد من طريق هشام بن عروة عن أَبيه قال: آخى رسول الله صلى الله عليه وسلّم بين الزُّبير بن العوام، وبين كعب بن مالك قال الزُّبير: لقد رأَيت كعبًا أَصابته الجراحة بأُحد، فقلت: لو مات فانقطع عن الدنيا وأَهلها لورثته فنزلت هذه الآية: {وَأُوْلُوا ٱلأرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللَّهِۗ}، فصارت المواريث بعد للأَرحام والقَرابات، وانقطعت تلك المواريث في المؤاخاة"([82]).

في تفسير الجلالين للآيات (56-75 الأنفال):

56- {ٱلَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ} أن لا يعينوا المشركين {ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ} عاهدوا فيها {وَهُمْ لا يَتَّقُونَ} الله في غدرهم. 57- {فَإمَّا} فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة {تَثْقَفَنَّهُمْ} تجدنهم {في ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ} فرِّق {بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ} من المحاربين بالتنكيل بهم والعقوبة {لَعَلَّهُمْ} أي الذين خلفهم {يَذَّكَّرُونَ} يتعظون بهم. 58- {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ} عاهدوك {خِيَانَةً} في عهد بأمارة تلوح لك {فَٱنْبِذْ} اطرح عهدهم {إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ} حال، أي مستويا أنت وهم في العلم بنقض العهد بأن تعلمهم به لئلا يتهموك بالغدر {إِنَّ ٱللَّهَ لا يُحِبُّ ٱلْخَـائِنِينَ}. 59- ونزل فيمن أفلت يوم بدر {وَلا تَحْسَبَنَّ} يا محمد {ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوٓاْۚ} الله أي فاتوه {إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ} لا يفوتونه. وفي قراءة بالتحتانية، فالمفعول الأول محذوف: أي أنفسهم. وفي أخرى بفتح «أن» على تقدير اللام. 60- {وَأَعِدُّوا لَهُم} لقتالـهم {مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ} قال صلى اللـه عليه وسلّم «هي الرمي» رواه مسلم {وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ} مصدر بمعنى حبسها في سبيل اللـه {تُرْهِبُونَ} تخوّفون {بِهِ عَدْوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} أي كفار مكة {وَآخرينَ من دُونِهم} أي غيرهم، وهم المنافقون أو

اليهود {لا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَىْءٍ في سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ} جزاؤه {وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ} تنقصون منه شيئا. 61- {وَإِن جَنَحُوا} مالوا {لِلسَّلْمِ} بكسر السين وفتحها: الصلح {فَٱجْنَحْ لَهَا} وعاهدهم، قال ابن عباس: هذا منسوخ بآية السيف وقال مجاهد: مخصوص بأهل الكتاب إذ نزلت في بني قريظة {وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ} ثق به {إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ} للقول {ٱلْعَلِيمُ} بالفعل. 62- {وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ} بالصلح ليستعدوا لك {فَإِنَّ حَسْبَكَ} كافيك {ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ}. 63- {وَأَلَّفَ} جمع {بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ} بعد الإحَن([83]) {لَوْ أَنفَقْتَ مَا في ٱلارْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ} بقدرته {إِنَّهُۥ عَزِيزٌ} غالب على أمره {حَكِيمٌ} لا يخرج شيء عن حكمته. 64- {يا أيها ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَ} حسبك {مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ}. 65- {يا أيها ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ} حث {ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ} للكفار {إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِۚ} منهم {وَإِن يَكُن} بالياء والتاء {مِّنكُمْ مِّائَةٌ يَغْلِبُوٓا أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ} أي بسبب أنهم {قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ} وهذا خبر بمعنى الأمر: أي ليقاتل العشرون منكم المائتين، والمائة ألفا ويثبتوا لهم، ثم نسخ لما كثروا بقوله. 66- {ٱلْـٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ} بضم الضاد وفتحها عن قتال عشرة أمثالكم {فَإِن يَكُن} بالياء والتاء {مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِۚ} منهم {وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ} بإرادته، وهو خبر بمعنى الأمر: أي لتقاتلوا مثليكم وتثبتوا لهم {وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ} بعونه. 67- ونزل لما أخذوا الفداء من أسرى بدر {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ} بالتاء والياء {لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلارْضِۚ} يبالغ في قتل الكفار {تُرِيدُونَ} أيها المؤمنون {عَرَضَ ٱلدُّنْيَا} حطامها بأخذ الفداء {وَٱللَّهُ يُرِيدُ} لكم {ٱلاخِرَةَ} أي ثوابها {وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} وهذا منسوخ بقوله {فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً}. 68- {لَّوْلا كِتَابٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ} بإحلال الغنائم والأسرى لكم {لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ} من الفداء {عَذَابٌ عَظِيمٌ}. 69- {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}. 70- {يا أيها ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلأسارَىٰٓ} وفي قراءة الأسرى {إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا} إيمانا وإخلاصا {يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ} من الفداء بأن يضعّفه لكم في الدنيا ويثيبكم في الآخرة {وَيَغْفِرْ لَكُمْ} ذنوبكم {وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}. 71- {وَإِن يُرِيدُوا} أي الأسرى {خِيَانَتَكَ} بما أظهروا من القول {فَقَدْ خَانُوا ٱللَّهَ مِن قَبْلُ} قبل بدر بالكفر {فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ} ببدر قتلًا وأسرا، فليتوقعوا مثل ذلك إن عادوا {وَٱللَّهُ عَلِيمٌ} بخلقه {حَكِيمٌ} في صنعه. 72- {إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَـٰهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ} وهم المهاجرون {وَٱلَّذِينَ آوَوا} النبي صلى الله عليه وسلّم {وَّنَصَرُوٓا} وهم الأنصار {أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ} في النصرة والإرث {وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ

يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم} بكسر الواو وفتحها {مِن شَىْءٍ} فلا إرث بينكم وبينهم ولا نصيب لهم في الغنيمة {حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا} وهذا منسوخ بآخر السورة {وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ في ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ} لهم على الكفار {إلا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ} عهد فلا تنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم {وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}. 73- {وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ} في النصرة والإرث، فلا إرث بينكم وبينهم {إلا تَفْعَلُوهُ} أي تولي المسلمين وقمع الكفار {تَكُن فِتْنَةٌ في ٱلارْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ} بقوة الكفر وضعف الإسلام. 74- {وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} في الجنة. 75- {وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ} أي بعد السابقين إلى الإيمان والهجرة {وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ} أيها المهاجرون والأنصار {وَأُوْلُوا ٱلارْحَامِ} ذوو القرابات {بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ} في الإرث من التوارث بالإيمان والهجرة المذكورة في الآية السابقة {في كِتَابِ ٱللَّهِ} اللوح المحفوظ {أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ} ومنه حكمة الميراث"([84]).

واضحٌ أن الخطاب في أمر القتال في هذه الآيات

(56-72) موجه إلى النبي (ص) في أمورٍ محددة بوقتها، كخيانة بني قريظة بعد أن كانوا أعطوه عهدًا بعدم مساعدة أعدائه عليه، وفي أمر الأسرى في يوم بدر، وفي رفع معنوياته ومن معه. ويزيدنا تأكيدًا على أنها تخصُّ تلك الفترة من الزمن، قوله تعالى في الآيتين (64-65): {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ *(64) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ *(65)}. ويعزز كلامنا هذا ما جاء في أسباب نزول بعض تلك الآيات، وفي تفسير الجلالين. فهي إذًا خاصة بحقبة القتال من بعد الهجرة حتى وفاة النبي (ص).

أما الآيات (73-75) ففيها بعضٌ من أحكام الورْث، وهي بالتالي من تعاليم الإسلام الدائمة.

من سورة التوبة:

الآيات (1-29 التوبة) (مدنية):

{بَرَاءةٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ *(1) فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَأَنَّ اللهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ *(2) وَأَذَانٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى

النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ *(3) إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ *(4) فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ *(5) وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ *(6) كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ *(7) كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ *(8) اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ *(9) لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ *(10) فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ *(11) وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ *(12) أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤُمِنِينَ *(13) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ *(14) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللّهُ عَلَى مَن يَشَاء وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ *(15) أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ *(16) مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ الله شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ *(17) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَـئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ *(18) أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ *(19) الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ *(20) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ *(21) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ *(22) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ *(23) قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ

فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ *(24) لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ *(25) ثُمَّ أَنَزلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ *(26) ثُمَّ يَتُوبُ اللّهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاء وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ *(27) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ *(28) قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ *(29)}.

أسباب نزول الآيات (17-19 التوبة):

"أخرج ابن أَبي حاتم من طريق علي بن أَبي طلحة عن ابن عباس قال: قال العباس حين أُسر يوم بدر: إنْ كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام، ونسقي الحاج، ونفك العاني، فأَنزل الله: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ} الآية. وأَخرج مسلم، وابن حبان، وأَبو داود، عن النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلّم في نفرٍ من أَصحابه، فقال رجل منهم: ما أُبالي أَن لا أَعمل لله عملًا بعد الإسلام إلاَّ أَن أَسقي الحاج، وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام، وقال آخر بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم، فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أَصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وذلك يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلّم فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأَنزل الله: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ} إلى قوله: {لا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ}. وأَخرج الفريابي عن ابن سيرين قال: قدم علي بن أَبي طالب مكة، فقال للعباس: أَي عم أَلا تهاجر، أَلا تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلّم؟ فقال: أَعَمُرُ المسجد وأَحجب البيت، فأَنزل الله: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ} الآية. وقال لقوم سماهم: أَلا تهاجروا أَلا تلحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلّم؟ فقالوا: نقيم مع إخواننا وعشائرنا ومساكننا، فأَنزل الله: {قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ} الآية كلّها. وأَخرج عبد الرزاق عن الشعبي نحوه. وأَخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: افتخر طلحة بن شيبة، والعباس، وعلي بن أَبي طالب، فقال طلحة: أَنا صاحب

البيت معي مفتاحه، وقال العباس: أَنا صاحب السِّقاية والقائم عليها، فقال علي: لقد صليت إلى القبلة قبل النَّاس، وأَنا صاحب الجهاد، فأَنزل الله: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ} الآية كلها"([85]).

أسباب نزول الآية (25 التوبة):

"أَخرج البيهقي في الدلائل عن الربيع بن أَنس: أَنَّ رجلًا قال يوم حنين: لن نُغلب من قلَّة وكانوا اثني عشر أَلفًا، فشقَّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فأَنزل الله: {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ} الآية"([86]).

أسباب نزول الآية (28 التوبة):

"أَخرج ابن أَبي حاتم عن ابن عباس قال: كان المشركون يجيئون إلى البيت، ويجيئون معهم بالطعام يُتجرون فيه، فلمَّا نُهوا عن أَنْ يأتوا البيت، قال المسلمون: فمن أَين لنا الطعام؟ فأَنزل الله: {وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ}. وأَخرج ابن جرير، وأَبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت: {إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَاۚ}، شقَّ ذلك على المسلمين، وقالوا: مَنْ يأتينا بالطعام والمتاع؟ فأَنزل الله: {وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ}. وأَخرج مثله عن عكرمة، وعطية العوفي، والضَّحاك، وقتادة وغيرهم"([87]).

في تفسير الجلالين للآيات (1-29 التوبة):

"1- هذه {بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ} واصلة {إِلَى ٱلَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ} عهدا مطلقا، أو دون أربعة أشهر أو فوقها، ونقض العهد بما يذكر في قوله. 2- {فَسِيحُوا} سيروا آمنين أيها المشركون {في ٱلارْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ} أوّلها شوّال، بدليل ما سيأتي، ولا أمان لكم بعدها {وَٱعْلَمُوَا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ} فائتي عذابه {وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَافِرِينَ} مذلُّهم في الدنيا والآخرة بالنار. 3- {وَأَذَانٌ} إعلام {مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلاكْبَرِ} يوم النحر {أَنَّ} أي بأنّ {ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ} وعهودهم {وَرَسُولُهُۥۚ} بريء أيضا، وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلّم عَلِيّا من السَّنة، وهي سنة تسع، فأذَّنَ يوم النحر بمنى بهذه الآيات، وألا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، رواه البخاري {فَإِن تُبْتُمْ} من الكفر {فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ} عن الإيمان {فَٱعْلَمُوَا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ} أخبر {ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} مؤلم. 4- {إلا ٱلَّذِينَ عَـاهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا} من شروط العهد {وَلَمْ يُظَاهِرُوا}: يعاونوا {عَلَيْكُمْ أَحَدًا} من الكفار

{فَأَتِمُّوَا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ} انقضاء {مُدَّتِهِمْۚ} التي عاهدتم عليها {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ} بإتمام العهود. 5- {فَإِذَا ٱنسَلَخَ} خرج {ٱلاشْهُرُ ٱلْحُرُمُ} وهي آخر مدة التأجيل {فَٱقْتُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ} في حلّ أو حرم {وَخُذُوهُمْ} بالأسر {وَٱحْصُرُوهُمْ} في القلاع والحصون حتى يضطروا إلى القتل أو الإسلام {وَٱقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍۚ} طريق يسلكونه، ونصب «كلَّ» على نزع الخافض {فَإِن تَابُوا} من الكفر {وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَآتَوُا ٱلزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْۚ} ولا تتعرضوا لهم {إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} لمن تاب. 6- {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ} مرفوع بفعل يفسره {ٱسْتَجَارَكَ} استأمنك من القتل {فَأَجِرْهُ} أمِّنه {حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ} القرآن {ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۚ} وهو دار قومه إن لم يؤمن، لينظر في أمره {ذَٰلِكَ} المذكور {بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ} دينَ الله فلا بدَّ لهم من سماع القرآن ليعلموا. 7- {كَيْفَ} أي لا {يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ} وهم كافرون بالله ورسوله غادرون {إلا ٱلَّذِينَ عَـاهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۖ} يوم الحديبية، وهم قريش المستثنون من قبل {فَمَا ٱسْتَقَامُوا لَكُمْ} أقاموا على العهد ولم ينقضوه {فَٱسْتَقِيمُوا لَهُمْۚ} على الوفاء به و«ما» شرطية {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ} وقد استقام صلى الله عليه وسلّم على عهدهم حتى نقضوا بإعانة بني بكر على خزاعة. 8- {كَيْفَ} يكون لهم عهد {وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ} يظفروا بكم {لا يَرْقُبُوا} يراعوا {فِيكُمْ إِلًّا} قرابة {وَلا ذِمَّةًۚ} عهدا، بل يؤذوكم ما استطاعوا، وجملة الشرط حال {يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ} بكلامهم الحسن {وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ} الوفاء به {وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ} ناقضون للعهد. 9- {ٱشْتَرَوْا بِـآيَاتِ ٱللَّهِ} القرآن {ثَمَنًا قَلِيلاً} من الدنيا: أي تركوا اتباعها للشهوات والهوى {فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِۚ} دينه {إِنَّهُمْ سَآءَ} بئس {مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}ـه عملهم هذا. 10- {لا يَرْقُبُونَ في مُؤْمِنٍ إلاًّ وَلا ذِمَّةًۚ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ}. 11- {فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا ٱلصَّلَاةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ} أي فهم إخوانكم {فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ} نبيّن {ٱلايَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} يتدبَّرون. 12- {وَإِن نَّكَثُوَا} نقضوا {أَيْمَانهِمْ} مواثيقهم {مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا في دِينِكُمْ} عابوه {فَقَاتِلُوَا أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ} رؤساءه، فيه وضع الظاهر موضع المضمر {إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ} عهود {لَهُمْ} وفي قراءة بالكسر {لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ} عن الكفر. 13- {أَلَا} للتحضيض {تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا} نقضوا {أَيْمَانهِمْ} عهودهم {وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ} من مكة لما تشاوروا فيه بدار الندوة {وَهُمْ بَدَأُوكُمْ} بالقتال {أَوَّلَ مَرَّةٍۚ} حيث قاتلوا خزاعة حلفاءكم مع بني بكر فما يمنعكم أن تقاتلوهم {أَتَخْشَوْنَهُمْۚ} أتخافونهم {فَٱللَّهُ
أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ} في ترك قتالهم {إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}. 14- {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ} يقتلهم {بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ} يذلّهم بالأسر والقهر {وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ} بما فعل بهم: هم بنو

خزاعة. 15- {وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْۗ} كربَها {وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ} بالرجوع إلى الإسلام كأبي سفيان {وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}. 16- {أَمْ} بمعنى همزة الإنكار {حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا} لم {يَعْلَمِ ٱللَّهُ} علم ظهورٍ {ٱلَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ} بإخلاص {وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلا رَسُولِهِۦ وَلا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةًۚ} بطانة وأولياء، المعنى: ولم يظهر المخلصون وهم الموصوفون بما ذكر من غيرهم {وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ}. 17- {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ ٱللَّهِ} بالإفراد والجمع بدخوله والقعود فيه {شَاهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِۚ أُولَٰٓئِكَ حَبِطَتْ} بطلت {أَعْمَـٰلُهُمْ} لعدم شرطها {وَفي ٱلنَّارِ هُمْ خَالِدُونَ}. 18- {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ مَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَاةَ وَآتَى ٱلزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ} أحدا {إِلا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ}. 19- {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ} أي أهل ذلك {كَمَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلاخِرِ وَجَاهَدَ في سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لا يَسْتَوُونَ عِندَ ٱللَّهِۗ} في الفضل {وَٱللَّهُ لا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ} الكافرين: نزلت ردّا على من قال ذلك وهو العباس أو غيره. 20- {ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا في سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً} رتبة {عِندَ ٱللَّهِ} من غيرهم {وَأُولَئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ} الظافرون بالخير. 21- {يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ} دائم. 22- {خَالِدِينَ} حال مقدّرة {فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ}. 23- ونزل فيمن ترك الهجرة لأجل أهله وتجارته {يا أيها ٱلَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوٓا آبَآءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا} اختاروا {ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلايمَانِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ}. 24- {قُلْ إِن كَانَ آبَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ} أقرباؤكم، وفي قراءة عشيراتكم {وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا} اكتسبتموها {وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا} عدم نفادها {وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ} فقعدتم لأجله عن الهجرة والجهاد {فَتَرَبَّصُوَا} انتظروا {حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ} تهديد لهم {وَٱللَّهُ لا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ}. 25- {لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ في مَوَاطِنَ} للحرب {كَثِيرَةٍ} كبدر وقريظة والنضير {وَ} اذكر {يَوْمَ حُنَيْنٍ} وادٍ بين مكة والطائف، أي يوم قتالكم فيه هوازن، وذلك في شوال سنة ثمان {إِذْ} بدل من يوم {أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ} فقلتم: لن نُغلَب اليوم من قلة، وكانوا اثني عشر ألفا والكفار أربعة آلاف {فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلارْضُ بِمَا رَحُبَتْ} «ما» مصدرية، أي مع رحبها أي سعتها فلم تجدوا مكانا تطمئنون إليه من شدّة ما لحقكم من الخوف {ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ} منهزمين، وثبت النبي صلى الله عليه وسلّم على بغلته البيضاء، وليس معه غير العباس، وأبو سفيان آخذ بركابه. 26- {ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ} طمأنينته {عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ} فردّوا إلى النبيّ صلى الله عليه وسلّم لما ناداهم العباس بإذنه وقاتلوا

{وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا} ملائكة {وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ} بالقتل والأسر {وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَافِرِينَ}. 27- {ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ} منهم بالإسلام {وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}. 28- {يا أيها ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ} قذر لخبث باطنهم {فَلا يَقْرَبُوا ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ} أي لا يدخلوا الحرم {بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَاۚ} عام تسع من الهجرة {وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً} فقرا بانقطاع تجارتهم عنكم {فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَآءَۚ} وقد أغناهم بالفتوح والجزية {إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}. 29- {قَاتِلُوا ٱلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلا بِٱلْيَوْمِ ٱلاخِرِ} وإلا لآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلّم {وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ} الثابت الناسخ لغيره من الأديان وهو دين الإسلام {مِنْ ٱلَّذِينَ} بيان للذين {أُوتُوا ٱلْكِتَابَ} أي اليهود والنصارى {حَتَّىٰ يُعْطُوا ٱلْجِزْيَةَ} الخراج المضروب عليهم كل عام {عَن يَدٍ} حال أي منقادين أو بأيديهم لا يوكلون بها {وَهُمْ صَاغِرُونَ} أذلاء منقادون لحكم الإسلام"([88]).

من نصوص الآيات السابقة (1-29) وأسباب النزول وتفسير الجلالين، نرى أن الآية (1) موجهة إلى النبي (ص)، وأصحابه، في أمر الذين عاهدهم من المشركين، فتحدد الآيات (2-16) هدنة أربعة أشهر بعدها يأتي الإمر بقتال كل مشرك ينقض عهده لهم، أما من تاب أو من لم ينقض العهد ولم يُعِنْ على المؤمنين أحدًا ممن يقاتلهم فلا يقاتَل. وبالتالي هذه الآيات خاصة بتلك الحقبة من الزمن.

والآيات (17-22) توضح أن منزلة المؤمنين الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم، أعظم درجة عند الله من غيرهم، وهذا أمر طبيعيٌّ وينطبق على كل زمان ومكان. ولكن لا بد من التذكير بأن الجهاد لا يكون دومًا بالقتال لآن للقتال شروطًا أولها وأهمها أن يكون دفاعًا بوجه من يقاتلنا ويخرجنا من ديارنا كما هي الحال في فلسطين.

والآية (23) تنهى المؤمنين عن التحالف (في أثناء الحروب) مع الآباء والإخوان والأزواج إذا استحبوا الكفر. وهذا ما كان حال بعض المؤمنين في تلك الأيام.

والآية (24) تؤنب الذين يتخلفون عن الجهاد من غير عذر سوى تفضيلهم البقاء إلى جانب آبائهم وإخوانهم وأزواجهم وأموالهم.

والآيات (25-27) تتكلم عما جرى في معارك سابقة، كيوم حنين أو مع بني قريظة والنضير وغيرهم. وبالتالي فهي خاصة بذلك الزمن.

والآية (28) تأمر بعدم السماح للمشركين بدخول الحرم المكي بعد نزولها، أي بعد العام التاسع من الهجرة. وقد كان فتح مكة في العام الثامن.

ومن الآية (29) نفهم أنّ المسلمين قد أصبحوا يشكلون دولة لها نظمها، من خرج عليها يقاتل ومن خضع لها
وبقي على دينه يدفع الجزية. وهذا لم يعد يحقُّ لأحد
العمل به لأن المسلمين أصبحوا شعوبًا متعددة الأعراق والقوميات ولكل شعبٍ دولة أو حتى عدة دول لكل منها نظمها وقوانينها.

الآية (36 التوبة) (مدنية):

{إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ *(36)}:

تفسير الجلالين الآية (36 التوبة):

"36- {إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ} المعتدّ بها للسنة {عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ ٱللَّهِ} اللوح المحفوظ {يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلارْضَ مِنْهَآ} أي الشهور {أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۚ} محرّمة: ذو القعدة وذو الحجة والمحرّم ورجب {ذَٰلِكَ} أي تحريمها {ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۚ} المستقيم {فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ} أي الأشهر الحرم {أَنفُسَكُمْ} بالمعاصي، فإنها فيها أعظم وزرا، وقيل: في الأشهر كلها {وَقَاتِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً} في كل الشهور {كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةًۚ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ} بالعون والنصر"([89]).

تبين هذه الآية (36) أن في العام أربعة أشهر حرام، ولكن يسمح فيها بقتال المشركين إذا عمدوا إلى قتال المؤمنين، وواضح من نصها بأن يكون القتال ردًّا على من يقاتلهم،{كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ}، أي دفاعًا عن النفس.

الآيات (38-52 التوبة) (مدنية):

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ *(38) إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *(39) إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ *(40) انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ *(41) لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَّتَّبَعُوكَ وَلَـكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ *(42) عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ *(43) لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ *(44) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ *(45) وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَـكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ *(46) لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالًا ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ *(47) لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاء الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللّهِ

وَهُمْ كَارِهُونَ *(48) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ

فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ *(49) إِن

تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ *(50) قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ *(51) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ *(52)}

أسباب نزول الآية (38 التوبة):

"أَخرج ابن جرير عن مجاهد في هذه الآية قال: هذا حين أُمروا بغزوة تبوك بعد الفتح، أُمروا بالنَّفير في الصيف حين خُرِفت النخل وطابت الثمار واشتهوا الظلال، وشقَّ عليهم المخرج، فأَنزل الله: {ٱنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالا}"([90]).

أسباب نزول الآية (39 التوبة):

"أَخرج ابن أَبي حاتم عن نجدة بن نفيع قال: سأَلت ابن عباس عن هذه الآية، فقال: استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلّم حيًا من أَحياء من العرب فتثاقلوا عنه، فأَنزل الله: {إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} فأَمسك عنهم المطر، فكان عذابهم"([91]).

أسباب نزول الآية (41 التوبة):

"أَخرج ابن جرير عن حضرمي أَنَّه ذُكر له أَن أناسًا كانوا عسى أَن يكون أَحدهم عليلًا أَو كبيرًا، فيقول: إِنِّي آثم! فأنزل الله: {ٱنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالا}"([92]).

أسباب نزول الآية (43 التوبة):

"أَخرج ابن جرير: عن عمرو بن ميمون الأَزدي قال: اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلّم لم يُؤمر فيهما بشيء: إذنه للمنافقين، وأَخذه الفداء من الأَسارى، فأَنزل الله: {عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ}"([93]).

أسباب نزول الآية (49 التوبة):

"أَخرج الطبراني، وأَبو نُعيم، وابن مردويه، عن ابن عباس قال: لما أَراد النَّبي صلى الله عليه وسلّم أَن يخرج إلى غزوة تبوك قال للجدّ بن قيس: يا جدّ بن قيس ما تقول في مجاهدة بني الأَصفر، فقال: يا رسول الله إِنِّي امرؤٌ صاحب نساء ومتى أَرى نساء بني الأَصفر أُفتتن فأْذِنْ لي ولا تفتنِّي، فأَنزل الله: {وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلا تَفْتِنِّيٓ} الآية"([94]).

أسباب نزول الآية (50 التوبة):

"أَخرج ابن أَبي حاتم عن جابر بن عبد الله قال: جعل المنافقون الذين تخلَّفوا بالمدينة يخبرون عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلّم أَخبار السُّوء، يقولون: إنَّ محمدًا وأَصحابه قد جهدوا في سفرهم، وهلكوا، فبلغهم تكذيب حديثهم وعافية النَّبيِّ صلى الله عليه وسلّم وأَصحابه فساءهم ذلك، فأَنزل الله: {إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ} الآية"([95]).

تفسير الجلالين الآيات (38-52 التوبة):

"38- ونزل لما دعا صلى الله عليه وسلّم الناس إلى غزوة تبوك وكانوا في عسرة وشدّة حرّ فشقّ عليهم {يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا في سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ} بإدغام التاء في الأصل في المثلثة واجتلاب همزة الوصل:

أي تباطأتم وملتم عن الجهاد {إِلَى ٱلارْضِۚ} والقعود

فيها، والاستفهام للتوبيخ {أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا} ولذاتها

{مِنَ ٱلآخِرَةِۚ} أي بدل نعيمها {فَمَا مَتَاعُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا فِي}

جنب متاع {ٱلآخِرَةِ إِلا قَلِيلٌ} حقير. 39- {إِلَّا} بإدغام

«لا» في نون «إن» الشرطية في الموضعين {تَنفِرُوا} تخرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلّم للجهاد {يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا

أَلِيمًا} مؤلما {وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ} أي يأت بهم بدلكم.

{وَلا تَضُرُّوهُ} أي الله أو النبي صلى الله عليه وسلّم {شَيْئًا}

بترك نصره فإن الله ناصر دينه {وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

ومنه نصر دينه ونبيه. 40- {إلا تَنصُرُوهُ} أي النبي صلى الله عليه وسلّم {فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ} حين {أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا}

من مكة أي ألجؤوه إلى الخروج لما أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة {ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ} حال: أي أحد اثنين والآخر أبو بكر، المعنى: نصره الله في مثل تلك الحالة فلا يخذله في غيرها {إِذْ} بدل من «إذ» قبله {هُمَا فِي ٱلْغَارِ} نقب في جبل ثور {إِذْ} بدل ثان {يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ} أبي بكر وقد قال له لما رأى أقدام المشركين: لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا {لا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا} بنصره {فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ} طمأنينته {عَلَيْهِ} قيل على النبي صلى الله عليه وسلّم وقيل على أبي بكر {وَأَيَّدَهُ} أي النبي صلى الله عليه وسلّم {بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا} ملائكة في الغار ومواطن قتاله {وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا} أي دعوة الشرك {ٱلسُّفْلَى} المغلوبة {وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ} أي كلمة الشهادة {هِيَ ٱلْعُلْيَا} الظاهرة

الغالبة {وَٱللَّهُ عَزِيزٌ} في ملكه {حَكِيمٌ} في صنعه. 41- {ٱنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالا} نشاطا وغير نشاط، وقيل: أقوياء وضعفاء، أو أغنياء وفقراء، وهي منسوخة بآية {لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ} {وَجَاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ في سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} أنه خير لكم فلا تثاقلوا. ونزل في المنافقين الذين تخلفوا". 42- {لَّوْ كَانَ} ما دعوتهم إليه {عَرضًا} متاعا من الدنيا {قَرِيبًا} سهل المأخذ {وَسَفَرًا قَاصِدًا} وسطا {لاتَّبَعُوكَ} طلبا للغنيمة {وَلَـٰكِنْ بَعُدَتْ
عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ} المسافة فتخلفوا {وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ} إذا
رجعتم إليهم {لَوِ ٱسْتَطَعْنَا} الخروج {لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ} بالحلف الكاذب {وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} في قولهم ذلك. 43- وكان صلى الله عليه وسلّم أذن لجماعة
في التخلف باجتهاد منه، فنزل عتابا له، وقدَّم العفو
تطمينا لقلبه {عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ} في التخلف
وهلا تركتهم حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا} في العذر
{وَتَعْلَمَ ٱلْكَاذِبِينَ} فيه. 44- {لا يَسْتَئْذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلاخِرِ} في التخلف عن {أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ}. 45- {إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ} في التخلف {ٱلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلاخِرِ وَٱرْتَابَتْ} شكت {قُلُوبُهُمْ} في الدين {فَهُمْ في رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ} يتحيرون. 46- {وَلَوْ أَرَادُوا ٱلْخُرُوجَ} معك {لاعَدُّوا لَهُ عُدَّةً} أُهبة من الآلة والزاد {وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنْبِعَاثَهُمْ} أي لم يرد خروجهم {فَثَبَّطَهُمْ} كسّلهم {وَقِيلَ} لهم {ٱقْعُدُوا مَعَ ٱلْقَاعِدِينَ}
المرضى والنساء والصبيان أي قدّر الله تعالى ذلك. 47-
{لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إلا خَبَالًا} فسادا بتخذيل المؤمنين {وَلأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ} أي أسرعوا بينكم بالمشي بالنميمة {يَبْغُونَكُمُ} يطلبون لكم {ٱلْفِتْنَةَ} بإلقاء العداوة {وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْۗ} ما يقولون سماع قبول {وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّالِمِينَ}. 48- {لَقَدِ ٱبْتَغَوُا} لك {ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ} أوّل ما قدمت المدينة {وَقَلَّبُوا لَكَ ٱلامُورَ} أي أجالوا الفكر في كيدك وإبطال دينك {حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ} النصر {وَظَهَرَ} عَزَّ {أَمْرُ ٱللَّهِ} دينه {وَهُمْ كَارِهُونَ} له فدخلوا فيه ظاهرا. 49- {وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي} في التخلف {وَلا تَفْتِنِّيۚ} وهو الجدّ بن قيس قال له النبي صلى الله عليه وسلّم: هل لك في جلاد بني الأصفر؟ فقال: إني مغرم بالنساء، وأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهنّ فأفتتن. قال تعالى: {أَلا في ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا} بالتخلف، وقرىء «سُقط» {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَافِرِينَ}

لا محيص لهم عنها. 50- {إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ} كنصر وغنيمة {تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ} شدّة {يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا} بالحزم حين تخلفنا {مِن قَبْلُ} قبل هذه المصيبة {وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ} بما أصابك. 51- {قُلْ} لهم {لَّن يُصِيبَنَآ إلا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا} إصابته {هُوَ مَوْلَانَاۚ} ناصرنا ومتولّي أمورنا {وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ}. 52- {قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ} فيه حذف إحدى التاءين من الأصل: أي تنتظرون أن يقع {بِنَآ إلا إِحْدَى} العاقبتين {ٱلْحُسْنَيَيْنِ} تثنية «حُسْنى» تأنيث «أحْسَنَ»: النصر أو الشهادة {وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ} ننتظر {بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ} بقارعة من السماء {أَوْ بِأَيْدِينَا} بأن يؤذن لنا في قتالكم {فَتَرَبَّصُوَا} بنا ذلك {إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ} عاقبتكم"([96]).

مما تقدم نفهم أن هذه الآيات (38-52) تتكلم عن حال المنافقين في غزوة تبوك، وهذا ما يؤكده الجلالان في تفسيرهما والنيسابوري في أسباب النزول؛ وهي بالتالي خاصة بتلك الفترة، أي إبّان تلك الغزوة.

الآية (73 التوبة) (مدنية):

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ *(73)}

واضح أن الخطاب في هذه الآية (73) موجه
إلى النبي (ص) بأن يجاهد الكفار والمنافقين الذين ظاهروا أعداءه عليه في تلك الأيام. وهي بالتالي خاصة بحقبة
نزولها.

الآيات (81-96 التوبة) (مدنية):

{فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ *(81) فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ *(82) فَإِن رَّجَعَكَ اللّهُ إِلَى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ *(83) وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ *

(84) وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ *(85) وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَجَاهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُواْ الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ *(86) رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ *(87) لَـكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ *(88) أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *(89) وَجَاء الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ *(90) لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ *(91) وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ *(92) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاء رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ *(93) يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لاَّ تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ *(94) سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ *(95) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ *(96)}

أسباب نزول الآية (81 التوبة):

"أَخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: أَمر رسول الله صلى الله عليه وسلّم النَّاس أَنْ ينبعثوا معه وذلك في الصَّيف، فقال رجل: يا رسول الله الحرُّ شديدٌ ولا نستطيع الخروج فلا تنفِر في الحر، فأَنزل الله: {قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا} الآية. وأَخرج عن محمد بن كعب القرظي قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلّم في حرٍّ شديدٍ إلى تبوك، فقال رجل من بني سلمة: لا تنفروا في الحرّ، فأَنزل الله: {قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا} الآية. وأَخرج البيهقي في الدلائل من طريق ابن إسحاق، عن عاصم بن عمرو بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم قال: قال رجل من المنافقين: لا تنفروا في الحرِّ، فنزلت"([97]).

أسباب نزول الآية (84 التوبة):

"روى الشيخان عن ابن عمر قال: لمَّا توفي عبد الله بن أُبيّ جاء ابنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم فسأله

أن يعطيه قميصه يكفّن فيه أباه، فأعطاه، ثمَّ سأله أنْ يصلّي عليه، فقام ليصلي عليه، فقام عمر بن الخطاب فأخذ

بثوبه وقال: يا رسول الله أتُصلي عليه وقد نهاك ربُّك أن تصلي على المنافقين، قال: إنَّما قد خيرني الله، فقال: {ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً} وسأزيد على السبعين، فقال: إنَّه منافق، فصلَّى عليه، فأنزل الله: {وَلا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ} فترك الصَّلاة عليهم. ورد ذلك من حديث عمر، وأنس، وجابر، وغيرهم"([98]).

أسباب نزول الآية (91 التوبة):

"أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن ثابت قال: كنت أكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلّم فكنت أكتب براءة، فإني لواضع القلم على أُذني إذ أُمرنا بالقتال، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلّم ينظر ما ينزل عليه إذ جاءه أعمى، فقال: كيف بي يا رسول الله وأنا أعمى؟ فنزلت: {لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ} الآية. وأخرج عن طريق العوفي عن ابن عباس قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلّم الناس أن ينبعثوا معه غازين، فجاءت عصابة من أصحابه فيهم عبد الله بن معقل المزني، فقال: يا رسول الله احملنا؟ فقال: والله لا أجد ما أحملكم عليه، فولّوا ولهم بكاء، وعزَّ عليهم أن يُحبسوا عن الجهاد ولا يجدون نفقة ولا محملًا، فأنزل الله عز وجل: {وَلا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ} الآية. وقد ذكرت أسماؤهم في المبهمات"([99]).

تفسير الجلالين للآيات (81-96):

"81{فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ} عن تبوك {بِمَقْعَدِهِمْ} أي بقعودهم {خِلافَ} أي بعد {رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوَا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ في سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا} أي قال بعضهم لبعض: {لا تَنفِرُوا} تخرجوا إلى الجهاد {فِي ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا} من تبوك، فالأولى أن يتقوها بترك التخلف {لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ} يعلمون ذلك ما تخلفوا. 82- {فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلا} في الدنيا {وَلْيَبْكُوا} في الآخرة {كَثِيرًا جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} خبر عن حالهم بصيغة الأمر. 83- {فَإِن رَّجَعَكَ} ردّك {ٱللَّهِ} من تبوك {إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ} ممن تخلف بالمدينة من المنافقين {فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ} معك إلى غزوة

أخرى {فَقُلْ} لهم {لَّن تَخْرُجُوا مَعِي أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِي عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا مَعَ ٱلْخَالِفِينَ} المتخلفين عن الغزو من النساء والصبيان وغيرهم. 84- ولما صلى النبي صلى الله عليه وسلّم على ابن أُبَـيّ نزل {وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ} لدفن أو زيارة {إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ} كافرون. 85- {وَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا في ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ} تخرج {أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ}. 86- {وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ} أي طائفة من القرآن {أن} أي بأن {آمِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَئْذَنَكَ أُوْلُوا ٱلطَّوْلِ} ذوو الغنى {مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَاعِدِينَ}. 87- {رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ ٱلْخَوَالِفِ} جمع خالفة أي النساء اللاتي تخلفن في البيوت {وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ} الخير. 88- {لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَاتُ} في الدنيا والآخرة {وَأُولَـئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ} أي الفائزون. 89- {أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّـاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلانْهَارُ خَـالِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ}. 90- {وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ} بإدغام التاء في الأصل في الدال، أي المعتذرون بمعنى المعذورين، وقرىء به {مِّنَ ٱلاعْرَابِ} إلى النبي صلى الله عليه وسلّم {لِيُؤْذَنَ لَهُمْ} في القعود لعذرهم فأذن لهم {وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۚۥ} في ادعاء الإيمان من منافقي الأعراب عن المجيء للاعتذار {سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}. 91- {لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ} كالشيوخ {وَلا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ} كالعمي والزّمْنَى {وَلا عَلَى ٱلَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ} في الجهاد {حَرَجٌ} إثم في التخلف عنه {إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ} في حال قعودهم بعدم الإرجاف والتثبيط والطاعة {مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ} بذلك {مِّن سَبِيلٍ} طريق بالمؤاخذة {وَٱللَّهُ غَفُورٌ} لهم {رَّحِيمٌ} بهم في التوسعة في ذلك. 92- {وَلا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ} معك إلى الغزو وهم سبعة من الأنصار، وقيل بنو مقرن {قُلْتَ لا أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ} حال {تَوَلَّوْا} جواب «إذا» أي انصرفوا {وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ} تسيل {مِنْ} للبيان {ٱلدَّمْعِ حَزَنًا} لأجل {أَلا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ} في الجهاد. 93- {إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ} في التخلف {وَهُمْ أَغْنِيَآءُۚ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ} تقدّم مثله. 94- {يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ} في التخلف {إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْۚ} من الغزو {قُلْ} لهم {لا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ} نصدقكم {قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْۚ} أي أخبرنا بأحوالكم {وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ} بالبعث {إِلَىٰ عَالِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ} أي الله {فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} فيجازيكم عليه. 95- {سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنْقَلَبْتُمْ} رجعتم {إِلَيْهِمُ} من تبوك أنهم معذورون في التخلف {لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ} بترك المعاتبة {فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ} قَذَرٌ لخبث باطنهم

{وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}. 96- {يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَاسِقِينَ} أي عنهم، ولا ينفع رضاكم مع سخط الله"([100]).

حسب الجلالين والنيسابوري، الكلام في الآيات
(81-90) هو أيضًا عن المنافقين في غزوة تبوك. وبالتالي فهي مخصصة لزمان تلك الغزوة.

والآيات (91-96) تبين من هم المعذورن في التخلف عن الخروج مع النبي (ص). وقد أصبح لهم فيما بعد تخفيف خاص في الفرائض.

الآية (111 التوبة) (مدنية):

{إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *(111)}

أسباب نزول الآية (111 التوبة):

"أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال عبد الله بن رواحة لرسول الله صلى الله عليه وسلّم: اشترط لربّك ولنفسك ما شئت، قال: أَشترط لربي أَنْ تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأَشترط لنفسي أَن تمنعوني مما تمنعون منه أَنفسكم وأَموالكم، قالوا: فإِذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: الجنَّة، قالوا: ربح البيع، لا نقيل ولا نستقيل، فنزلت: {إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ}"([101]).

تفسير الجلالين للآية (111 التوبة):

"{إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُم} بأن يبذلوها في طاعته كالجهاد {بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ في سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ} جملة استئناف بيان للشراء. وفي قراءة بتقديم المبني للمفعول. أي فيقتل بعضهم ويقاتل الباقي {وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا} مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف {فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلانجِيلِ وَٱلْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ ٱللَّهِ} أي لا أحد أوفى منه {فَٱسْتَبْشِرُوا} فيه التفات عن الغيبة {بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ} البيع {هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ} المُنيل غاية المطلوب"([102]).

في هذه الآية (111) تأكيد لوعد الله تعالى، ليس في القرآن فقط بل في التوراة والإنجيل أيضًا، للذين آمنوا وجاهدوا وقاتلوا وقتلوا في سبيل الله، ويبشرهم بالثواب العظيم.

الآيات (120-123 التوبة) (مدنية):

{مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * (120) وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ *(121) وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ *(122) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ *(123).}

أسباب نزول الآية (122 التوبة):

"أخرج ابن أَبي حاتم عن عكرمة قال: لما نزلت: {إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} وقد كان تخلَّف عنه ناس في البدو يفقِّهون قومهم، فقال المنافقون: قد بقي ناس في البوادي هلك أَصحاب البوادي، فنزلت: {وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةًۚ}. وأَخرج عن عبد الله بن عبيد الله بن عمير قال: كان المؤمنون لحرصهم على الجهاد إذا بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم سريَّة خرجوا فيها وتركوا النَّبي صلى الله عليه وسلّم بالمدينة في رقةٍ من النَّاس، فنزلت"([103]).

تفسير الجلالين للآيات (120-123 التوبة):

"120- {مَا كَانَ لاهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلاعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ} إذا غزا {وَلا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ} بأن يصونوها عما رضيه لنفسه من الشدائد، وهو نهي بلفظ الخبر {ذَٰلِكَ} أي النهي عن التخلف {بِأَنَّهُمْ} بسبب أنهم {لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ} عطش {وَلا نَصَبٌ} تعب {وَلا مَخْمَصَةٌ} جوع {في سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلا يَطَؤونَ مَوْطِئًا} مصدر بمعنى وطأ {يَغِيظُ} يغضب {ٱلْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ} لله {نَّيْلا} قتلًا أو أسرا أو نهبا {إلا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌۚ} ليجازَوْا عليه {إِنَّ ٱللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ} أي أجرهم بل يثيبهم. 121- {وَلا يُنفِقُونَ} فيه {نَفَقَةً صَغِيرَةً} ولو

تمرة {وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا} بالسير {إلا كُتِبَ لَهُم} به عمل صالح {لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} أي جزاءهم. 122- ولما وُبِّخوا على التخلف وأرسل النبي صلى الله عليه وسلّم سرية نفروا جميعا فنزل {وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا} إلى الغزو {كَآفَّةً فَلَوْلا} فهلا {نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ} قبيلة {مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ} جماعة ومكث الباقون {لِّيَتَفَقَّهُوا} أي الماكثون {في ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوَا إِلَيْهِمْ} من الغزو بتعليمهم ما تعلّموه من الأحكام {لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} عقاب الله بامتثال أمره ونهيه. قال ابن عباس: فهذه مخصوصة بالسرايا، والتي قبلها بالنهي عن تخلف واحد فيما إذا خرج النبي صلى الله عليه وسلّم. 123- {يَـا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ} أي الأقرب فالأقرب منهم {وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً} شدّة: أي أغلظوا عليهم {وَٱعْلَمُوَا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ} بالعون والنصر"([104]).

الكلام في هذه الآيات (120-123) هو عن أهل المدينة الذين تخلفوا عن الخروج مع النبي (ص)، وبالتالي فهي خاصة بالزمن الذي نزلت فيه. وفي تفسير الطبري للآية (120) أن المقصود هم الذين تخلفوا عن غزوة تبوك.

مما تقدم نستخلص أن ما ورد عن القتال في سورة

التوبة، كان خاصًّا بما كان مستعرًا بين النبي (ص) وصحبه، من جهة، ومشركي قريش ومن والاهم من القبائل ومن اليهود، من جهة أخرى. ونأمل في أن يكون هذا مقنعًا بأن آياتها ليست إعلان حربٍ دائمةٍ على غير المسلمين، كما يحلو لبعضهم أن يتهمها به.

من سورة النحل:

الآية (110 النحل) (مدنية):

{ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَاهَدُواْ وَصَبَرُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ *(110).}

تفسير الجلالين الآية (110 النحل):

"110- {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَـاجَرُوا} إلى المدينة {مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا} عُذِّبُوا وتلفظوا بالكفر، وفي قراءة بالبناء للفاعل: أي كفروا أو فتنوا الناس عن الإيمان {ثُمَّ جَـاهَدُوا وَصَبَرُوَا} على الطاعة

{إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا} أي الفتنة {لَغَفُورٌ} لهم {رَّحِيمٌ} بهم. وخبر «إنّ» الأولى دل عليه خبر الثانية" ([105]).

الكلام في هذه الآية هو عن الذين آمنوا وعُذِّبوا قبل الهجرة، وتلفظوا بالكفر من شدة العذاب، بأن الله عزّ وجلَّ سيغفر لهم.

من سورة الحج (آياتها مدنية):

الآيتان (39 -40 الحج):

{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ *(39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ *(40)}

أسباب نزول الآية (39 الحج):

"أَخرج أحمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلّم من مكة، فقال أبو بكر: أخرجوا نبيهم لَيهْلِكُنَّ، فأنزل الله: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ}، قال أبو بكر: لقد علمت أنَّه سيكون قتال».([106])

تفسير الجلالين للآيتين (39-40 الحج):

"39- {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ} أي للمؤمنين أن يقاتلوا وهذه أوّل آية نزلت في الجهاد {بِأَنَّهُمْ} أي بسبب أنهم {ظُلِمُواْۚ} لظلم الكافرين إياهم {وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ}. 40- هم {ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ} في الإخراج ما أخرجوا {إلا أَن يَقُولُوا} أي بقولهم {رَبُّنَا ٱللَّهُۗ} وحده، وهذا القول

حق، فالإخراج به إخراج بغير حقَ {وَلَوْلا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم} بدل بعض من الناس {بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ} بالتشديد للتكثير، وبالتخفيف {صَوَامِعُ} للرهبان {وَبِيَعٌ} كنائس للنصارى {وَصَلَوَاتٌ} كنائس لليهود بالعبرانية {وَمَسَاجِدُ} للمسلمين {يُذْكَرُ فِيهَا} أي المواضع المذكورة {ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا}

وتنقطع العبادات بخرابها {وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ} أي ينصر دينه {إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ} على خلقه {عَزِيزٌ} منيع في سلطانه وقدرته"([107]).

يكاد يجمع المفسرون على أن الآية (39 الحج) هي أول ما نزل في الجهاد. فما معنى أن تبدأ بعبارة: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ...}؟ ألا يعني هذا أن القتل محرّمٌ في الإسلام ولذا جاءت هذه الآية لتعطي الإذن حصرًا، للذين ظُلموا وإخرجوا من ديارهم بغير حقٍّ، بالقتال الذي سيؤدي حتمًا إلى القتل؟ وهذا ما أراه قد ينطبق في عصرنا الحاضر سوى على تحرير فلسطين وإعادة أهلها إلى ديارهم فيها.

الآية (60 الحج):

{ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ *(60)}.

أسباب نزول الآية (60 الحج):

"أَخرج ابن أَبي حاتم عن مقاتل: أَنَّها نزلت في سرية بعثها النَّبيُّ صلى الله عليه وسلّم فلقوا المشركين لليلتين بقيتا من المحرم، فقال المشركون بعضهم لبعض: قاتلوا أَصحاب محمد فإِنَّهم يحرمون القتال في الشهر الحرام وإنَّ أصحاب محمد ناشدوهم وذكَّروهم بالله أَن لا يتعرضوا لقتالهم، فإِنَّهم لا يستحلِّون القتال في الشَّهر الحرام؛ إلاَّ من بادأَهم، وإنَّ المشركين بدؤوا وقاتلوهم فاستحل الصحابة قتالهم عند ذلك فقاتلوهم ونصرهم الله عليهم، فنزلت هذه الآية"([108]).

تفسير الجلالين للآية (60 الحج):

"60- {ذَٰلِكَ} الذي قصصناه عليك {وَمَنْ عَاقَبَ} جازى من المؤمنين {بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ} ظلما من المشركين: أي قاتلهم كما قاتلوه في الشهر المحرّم {ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ} منهم: أي ظلم بإخراجه من منزله {لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ} عن المؤمنين {غَفُورٌ} لهم عن قتالهم في الشهر الحرام".

أفهم من هذه الآية شرعية الدفاع عن النفس في أي وقت، حتى في الأشهر الحرم. وهذا ما تقره القوانين والشرائع برمتها.

الآية (78 الحج):

{وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ* (78)}.

تفسير الجلالين للآية (78 الحج):

"78- {وَجَاهِدُوا في ٱللَّهِ} لإقامة دينه {حَقَّ جِهَـادِهِ} باستفراغ الطاقة فيه ونصب حقّ على المصدر {هُوَ ٱجْتَبَاكُمْ} اختاركم لدينه {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ في ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} أي ضيق بأن سهلـه عند الضرورات كالقصر والتيمم وأكل الميتة والفطر للمرض والسفر {مِّلَّةَ أَبِيكُمْ} منصوب بنزع الخافض الكاف {إِبْرَٰهِيمَ} عطف بيان {هُوَ} أي اللـه {سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ} أي قبل هذا الكتاب {وَفي هَـٰذَا} أي القرآن {لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ} يوم القيامة أنه بلّغكم {وَتَكُونُوا} أنتم {شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ} أن رسلـهم بلغوهم. {فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَٱعْتَصِمُوا بِٱللَّهِ} ثقوا به {هُوَ مَوْلَاكُمْ} ناصركم ومتولّي أموركم {فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ} هو {وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ} الناصر لكم"([109]).

وكما قلنا ونقول بأن الجهاد بالنفس ليس شرطًا أن يكون دومًا بالقتال، وهذا ما يؤكده الجلالان كما جاء آنفًا. فالكلمة الطيبة والعمل الصالح والسلوك الحسن، والتحلي بالصفات التي يوصي بها القرآن الكريم، كلها أمورٌ تظهر التقيد بتعاليم الدين الصحيحة وهذا هو بالتالي الجهاد الدائم في جميع الأمكنة والأزمنة. إذ ليس أدلَّ على محاسن وفضائل الدين القويمة سوى سلوك وأخلاق وتعامل معتنقيه.

من سورة النور (آياتها مدنية):

الآيتان (53-54 النور):

{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل
لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ *(53) قُلْ

أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ
وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ *(54)}

تفسير الجلالين للآيتين (53-54 النور):

"53- {وَأَقْسَمُوا بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ} غايتها {لَئِنْ
أَمَرْتَهُمْ} بالجهاد {لَيَخْرُجُنَّ قُل} لهم {لا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ} للنبيّ خير من قسمكم الذي لا تصدقون فيه {إِنَّ
ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} من طاعتكم بالقول ومخالفتكم
بالفعل. 54- {قُلْ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا} عن طاعته، بحذف إحدى التاءين، خطاب لهم {فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ} من التبليغ {وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ} من طاعته {وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ} أي التبليغ البيّن"([110]).

في هذه الآية أمر بطاعة الله والرسول في جميع الأمور.

من سورة الفرقان:

الآية (52 الفرقان) (مكية):

{فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا *(52)}

لعدم الإطالة بالتكرار، نرجو العودة إلى ما قلناه في أول الفصل الثاني من هذا البحث.

من سورة العنكبوت (آياتها مكية):

الآية (6 العنكبوت):

{وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ *(6)}.

ولعدم الإطالة بالتكرار، نرجو أيضًا، العودة إلى ما قلناه في أول الفصل الثاني من هذا البحث.

الآية (69 العنكبوت):

{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ *(69)}

أيضًا نرجو العودة إلى ما قلناه في أول الفصل الثاني من هذا البحث.

من سورة الأحزاب (آياتها مدنية):

الآيات (9-27 الأحزاب):

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا *(9) إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا *(10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا *(11) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا *(12) وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ
يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا
فِرَارًا *(13) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا *(14) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ
مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولًا *(15) قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا *(16) قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ
بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا *(17) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا *(18) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا *(19) يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ

كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا *(20) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا *(21) وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا *(22) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا *(23) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا *(24) وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا *(25) وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا *(26) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا *(27)}.

أسباب نزول الآية (9 الأحزاب):

"أَخرج البيهقي في الدلائل عن حذيفة قال: لقد رأيتنا ليلة الأَحزاب ونحن صافون قعودًا، وأَبو سفيان ومن معه من الأَحزاب فوقنا، وقريظة أَسفل منا، نخافهم على ذرارينا، وما أَتت قط علينا ليلةٌ أَشد ظلمةً، ولا أَشد ريحًا منها، فجعل المنافقون يستأذنون النَّبي صلى الله عليه وسلّم يقولون: إنَّ بيوتنا عورة وما هي بعورة، فما يستأذن أَحدٌ منهم إلاَّ أَذِن له فيتسلَّلون، إذا استقبلنا الَّنبي صلى الله عليه وسلّم رجلًا حتى مرَّ عليّ فقال: إنه كان في القوم خبر، فائتني بخبر القوم. فجئت فإذا الرِّيح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبرًا، فوالله إنّي لأَسمع صوت الحجارة في رحالهم، ومن بينهم الريح يضربهم بها وهم يقولون: الرَّحيل الرَّحيل، فجئت فأَخبرته خبر القوم أَني تركتهم يرتحلون وأَنزل الله: {يا أيها ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ} الآية"([111]).

أسباب نزول الآية (23 الأحزاب):

"أَخرج مسلم، والترمذي، وغيرهما عن أَنس قال: غاب عمي أَنس بن النَّضر عن بدر فكَبُر عليه فقال: أَوَّل مشهدٍ قد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلّم غبت عنه، لئن أَراني الله مشهدًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم ليرينّ الله ما أَصنع، فشهد يوم أُحد، فقاتل حتى قتل، فوجد في جسده

بضعٌ وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية، ونزلت هذه الآية: {رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَـٰهَدُوا ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ} إلى آخرها"([112]).

تفسير الجلالين للآيات (9-27 الأحزاب):

"9- {يا أيها ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ} من الكفار متحزبون أيام حفر الخندق {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَاۚ} من الملائكة {وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ} بالتاء من حفر الخندق، وبالياء من تحزيب المشركين {بَصِيرًا}. 10- {إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ} من أعلى الوادي وأسفله من المشرق والمغرب {وَإِذْ زَاغَتِ ٱلابْصَارُ} مالت عن كل شيء إلى عدوّها من كل جانب {وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ} جمع حنجرة وهي منتهى الحلقوم من شدّة الخوف {وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا} المختلفة بالنصر واليأس. 11- {هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ} اختُبروا ليتبين المخلص من غيره {وَزُلْزِلُوا} حُرّكوا {زِلْزَالا شَدِيدًا} من شدّة الفزع. 12- {وَ} اذْكر {إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ في قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} ضعف اعتقاد {مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ} بالنصر {إِلا غُرُورًا} باطلًا. 13- {وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ} أي المنافقون {يَا أَهْلَ يَثْرِبَ} هي أرض المدينة، ولم تصرف للعلمية ووزن الفعل {لا مُقَامَ لَكُمْ} بضم الميم وفتحها: أي لا إقامة ولا مكانة {فَٱرْجِعُوا} إلى منازلكم من المدينة وكانوا خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلّم إلى سلع - جبل خارج المدينة - للقتال {وَيَسْتَئْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ} في الرجوع {يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ} غير حصينة يخشى عليها. قال تعالى {وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن} ما {يُرِيدُونَ إِلا فِرَارًا} من القتال. 14- {وَلَوْ دُخِلَتْ} أي المدينة {عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا} نواحيها {ثُمَّ سُئِلُوا} أي سألهم الداخلون {ٱلْفِتْنَةَ} الشرك {لآتَوْهَا} بالمدّ والقصر: أي أعطوها وفعلوها {وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلا يَسِيرًا}. 15- {وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لا يُوَلُّونَ ٱلادْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْؤولا} عن الوفاء به. 16- {قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا} إن فررتم {لا تُمَتَّعُونَ} في الدنيا بعد فراركم {إِلا قَلِيلا} بقية آجالكم. 17- {قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم} يجيركم {مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا} هلاكا وهزيمة {أَوْ} يصيبكم بسوء إن {أَرَادَ} الله {بِكُمْ رَحْمَةًۚ} خيرا {وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ} أي غيره {وَلِيًّا} ينفعهم {وَلا نَصِيرًا} يدفع الضرّ عنهم. 18- {قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ} المثبّطين {مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لاخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ} تعالَوا {إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ} القتال {إِلا قَلِيلا} رياء وسمعة. 19- {أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ} بالمعاونة جمع شحيح: وهو حال من ضمير «يأتون» {فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِي} كنظر أو كدوران الذي {يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ} أي سكراته {فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ} وحِيزَت الغنائم

{سَلَقُوكُم} آذوكم أو ضربوكم {بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِۚ} أي الغنيمة يطلبونها {أولئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا} حقيقة {فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ} الإحباط {عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا} بإرادته. 20- {يَحْسَبُونَ ٱلاحْزَابَ} من الكفار {لَّمْ يَذْهَبُوا} إلى مكة لخوفهم منهم {وَإِن يَأْتِ ٱلاحْزَابُ} كرّة أخرى {يَوَدُّوا} يتمنوا {لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ في ٱلأعْرَابِ} أي كائنون في البادية {يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ} أخباركم مع الكفار {وَلَوْ كَانُوا فِيكُم} هذه الكرّة {مَّا قَاتَلُوٓا إلا قَلِيلا} رياء وخوفا من التعيير. 21- {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ في رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ} بكسر الهمزة وضمها {حَسَنَةٌ} اقتداء به في القتال والثبات في مواطنه {لِمَنْ} بدل من «لكم» {كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ} يخافه {وَٱلْيَوْمَ ٱلاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا} بخلاف من ليس كذلك. 22- {وَلَمَّا رَأى ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلاحْزَابَ} من الكفار {قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ} من الابتلاء والنصر {وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ} في الوعد {وَمَا زَادَهُمْ} ذلك {إلا إِيمَانًا} تصديقا بوعد الله {وَتَسْلِيمًا} لأمره. 23- {مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا ٱللَّهَ عَلَيْهِ} من الثبات مع النبي صلى الله عليه وسلّم {فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ} مات أو قتل في سبيل الله {وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ} ذلك {وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا} في العهد وهم بخلاف حال المنافقين. 24- {لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَافِقِينَ إِن شَآءَ} بأن يميتهم على نفاقهم {أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا} لمن تاب {رَّحِيمًا} به. 25- {وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا} أي الأحزاب {بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا} مرادهم من الظفر بالمؤمنين {وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ} بالريح والملائكة {وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا} على إيجاد ما يريده {عَزِيزًا} غالبا على أمره. 26- {وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} أي قريظة {مِن صَيَاصِيهِمْ} حصونهم، جمع صيصة وهو ما يُتحصن به {وَقَذَفَ في قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ} الخوف {فَرِيقًا تَقْتُلُونَ} منهم وهم المقاتلة {وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا} منهم: أي الذراري. 27- {وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ} بعد وهي خيبر: أُخذت بعد قريظة {تَطَـٔوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا}.([113])

نفهم مما تقدم أنّ الكلام في هذه الآيات هو عن المنافقين يوم الخندق ثم عن خيانة بني قريظة، فهي بالتالي تخص المرحلة التي نزلت فيها.

الآيات (60-62 الأحزاب):

{لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا *(60) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا *(61) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا *(62)}

تفسير الجلالين للآيات (60-62 الأحزاب):

"60- {لَئِنْ} لام قسم {لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَافِقُونَ} عن نفاقهم {وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} بالزنى {وَٱلْمُرْجِفُونَ في ٱلْمَدِينَةِ} [بتخويفهم] المؤمنين بقولهم: قد أتاكم العدوّ وسراياكم قتلوا أو هزموا {لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ} لنسلطنك عليهم {ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ} يساكنونك {فِيهَا إِلا قَلِيلا} ثم يخرجون. 61- {مَّلْعُونِينَ} مُبْعدِينَ عن الرحمة {أَيْنَمَا ثُقِفُوۤا} وُجدوا {أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلا} أي الحكم فيهم هذا على جهة الأمر به. 62- {سُنَّةَ ٱللَّهِ} أي سنّ الله ذلك {في ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُۖ} من الأمم الماضية في منافقيهم المرجفين المؤمنين {وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلا} منه.([114])

مما تقدم نفهم إنّ الكلام في هذه الآيات هو عن المنافقين في المدينة إبان الصراع بين النبي (ص) وأصحابه
من جهة والمشركين من جهة أخرى، فهي إذًا خاصة بتلك الأيام.

من سورة الصافات (آياتها مكية):

الآيات (171-179):

{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ *(171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ *(172) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ *(173) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ *(174) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ *(175) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ *(176) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاء صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ *(177) وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ *(178) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ *(179)}.

تفسير الجلالين للآيات (171-179 الصافات):

"{171- {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا} بالنصر {لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ} وهي {لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِيَ}. 172- أو هي قوله {إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ}. 173- {وَإِنَّ جُندَنَا} أي المؤمنين {لَهُمُ ٱلْغَـالِبُونَ} الكفار بالحجة والنصرة عليهم في الدنيا، وإن لم ينتصر بعض منهم في الدنيا ففي الآخرة. 174- {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ} أي أعرض عن كفار مكة {حَتَّىٰ حِينٍ}. 175- {وَأَبْصِرْهُمْ} إذا نزل بهم العذاب {فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ} عاقبة كفرهم. 176- فقالوا استهزاء: متى نزول هذا العذاب؟ قال تعالى تهديدا لهم {أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ}. 177- {فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ} بفنائهم. قال الفراء: العرب تكتفي بذكر

الساحة عن القوم {فَسَآءَ} بئس صباحا {صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ} فيه إقامة الظاهر مقام المضمر. 178- {وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ}. 179- {وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ} كرّر تأكيدا لتهديدهم وتسلية له صلى الله عليه وسلّم"([115]).

هذه الآيات (171-179) مكية وفيها يعد تعالى رسوله (ص) بالنصر ويتوعد الكافرين بالعذاب، ولا كلام فيها عن القتال.

من سورة محمد (آياتها مدنية):

الآيات (4-7 محمد):

{فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ *(4) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ *(5) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ *(6) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ *(7)}.

أسباب نزول الآية (4 محمد):

"وأخرج عن قتادة في قوله: {وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا في سَبِيلِ ٱللَّهِ}، قال: ذُكر لنا أَنَّ هذه الآية نزلت يوم أُحد ورسول الله صلى الله عليه وسلّم في الشَّعب وقد نشبت فيهم الجراحات والقتل، وقد نادى المشركون يومئذ: أُعلُ هُبَل، ونادى المسلمون: الله أَعلى وأَجل فنادى المشركون: إنَّ لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم. إنَّ القتلى مختلفة، أما قتلانا فأَحياء يرزقون وأَما قتلاكم في النار يعذبون"([116]).

تفسير الجلالين للآيات (4-7 محمد):

"4- {فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ} مصدر بدل من اللفظ بفعله. أي فاضربوا رقابهم: أي اقتلوهم وعبر بـ «ضرب الرقاب» لأن الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة {حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ} أكثرتم فيهم القتل {فَشُدُّوا} أي فأمسكوا عنهم وأسروهم وشدوا {ٱلْوَثَاقَ} ما يوثق به الأسرى {فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ} مصدر بدل من اللفظ بفعله أي تمنون عليهم بإطلاقهم من غير شيء {وَإِمَّا فِدَاءً} أي تفادونهم بمال أو أسرى مسلمين {حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ} أي أهلها {أَوْزَارَهَآ} أثقالها من

السلاح وغيره بأن يُسلم الكفار أو يدخلوا في العهد، وهذه غاية للقتل والأسر {ذَٰلِكَ} خبر مبتدأ مقدر: أي الأمر فيهم ما ذكر {وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ} بغير قتال {وَلَـٰكِن} أمركم به {لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍۗ} منهم في القتال فيصير من قُتل منكم إلى الجنة ومنهم إلى النار {وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا} وفي قراءة «قاتلوا». الآية نزلت يوم أُحد وقد فشا
في المسلمين القتل والجراحات {في سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ} يحبط {أَعْمَالَهُمْ}. 5- {سَيَهْدِيهِمْ} في الدنيا والآخرة إلى ما ينفعهم {وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ} حالهم فيهما وما في الدنيا لمن لم يقتل وأدرجوا في «قُتِلوا» تغليبا. 6- {وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا} بيَّنها {لَهُمْ} فيهتدون إلى مساكنهم منها من غير استدلال. 7- {يا أيها ٱلَّذِينَ آمَنُوٓا إِن تَنصُرُوا ٱللَّهَ} أي دينه ورسوله {يَنصُرْكُمْ} على عدوكم {وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} يثبتكم في المعترك"([117]).

من تفسير الجلالين ومن أسباب النزول نفهم أن هذه الآيات (4-7) نزلت في معركة أُحُد. كما نفهم من قوله تعالى: {حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَاۚ} أن ما جاء فيها عن القتل ينتهي بانتهاء الحرب.

الآيتان (20-21 محمد):

{وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ *(20) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ *(21)}.

تفسير الجلالين للآيتين (20-21 محمد):

"20- {وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا} طلبا للجهاد {لَوْلا} هلا {نُزِّلَتْ سُورَةٌۖ} فيها ذكر الجهاد {فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ} أي لم ينسخ منها شيء {وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ} أي طلبه {رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ في قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} شك وهم المنافقون {يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ} خوفا منه وكراهة له: أي فهم يخافون من القتال ويكرهونه {فَأَوْلَىٰ لَهُمْ} مبتدأ خبره. 21- {طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌۚ} أي حسن لك {فَإِذَا عَزَمَ ٱلامْرُ} أي فرض القتال {فَلَوْ صَدَقُوا ٱللَّهَ} في الإيمان والطاعة {لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ} وجملة «لو» جواب «إذا»"([118]).

واضح أن هاتين الآيتين تتكلمان عن المنافقين في ذلك الزمن.

الآيات (31-35 محمد):

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ *(31) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ *(32) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ *(33) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ *(34) فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ *(35)}

أسباب نزول الآية (33 محمد):

"أَخرج ابن أَبي حاتم ومحمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة عن أَبي العالية قال: كان أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم يرون أَنَّه لا يضر مع لا إله إلاَّ الله ذنبٌ كما لا ينفع مع الشّرك عمل فنزلت: {أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوۤا أَعْمَـٰلَكُمْ} فَخافوا أَن يُبطلَ الذنبُ العملَ"([119]).

تفسير الجلالين للآيات (31-35 محمد):

"31- {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ} نختبركم بالجهاد وغيره {حَتَّىٰ نَعْلَمَ} علم ظهور {ٱلْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّابِرِينَ} في الجهاد وغيره {وَنَبْلُوَا} نظهر {أَخْبَارَكُمْ} من طاعتكم وعصيانكم في الجهاد وغيره بالياء والنون في الأفعال الثلاثة. 32- {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ} طريق الحق {وَشَآقُّوا ٱلرَّسُولَ} خالفوه {مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى} هو معنى سبيل الله {لَن يَضُرُّوا ٱللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ} يبطلها من صدقة ونحوها فلا يرون لها في الآخرة ثوابا: **<u>نزلت في المطعمين من أصحاب بدر</u>**، أو في قريظة والنضير. 33- {يا أيها ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ} بالمعاصي مثلًا. 34- {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ} طريقه وهو الهدى {ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ} نزلت في أصحاب القليب. 35- {فَلا تَهِنُوا} تضعفوا {وَتَدْعُوا إِلَى ٱلسَّلْمِ} بفتح السين وكسرها: أي الصلح مع الكفار إذا لقيتموهم {وَأَنتُمُ ٱلاعْلَوْنَ} حذف منه واو لام الفعل: الأغلبون القاهرون {وَٱللَّهُ مَعَكُمْ} بالعون والنصر {وَلَن يَتِرَكُمْ} ينقصكم {أَعْمَالَكُمْ} أي ثوابها"([120]).

واضحٌ أنَّ هذه الآيات (31-35) تتكلم عن أمورٍ تخصُّ أيام نزولها. وحسب تفسير الجلالين فقد نزلت في المطعمين من أصحاب بدر، أو في قريظة والنضير.

من سورة الفتح (آياتها مدنية):

الآيات (10-29 الفتح):

{إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا *(10) سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا *(11) بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا *(12) وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا *(13) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا *(14) سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا *(15) قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *(16) لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا *(17) لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا *(18) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا *(19) وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا *(20) وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا *(21) وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا *(22) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا *(23) وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا *(24) هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاء لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *(25) إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي

قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا *(26) لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا *(27) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا *(28) مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا *(29)}

أسباب نزول الآية (18 الفتح):

"وأَخرج ابن أَبي حاتم عن سلمة بن الأَكوع قال: بينما نحن قائلون إذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلّم: يا أَيُّها النَّاس البيعةَ البيعةَ نزل روح القدس، فسرنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه، فأَنزل الله: {لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ} الآية"([121]).

أسباب نزول الآية (24 الفتح):

"وأَخرج مسلم والتِّرمذي والنَّسائي عن أَنس قال: لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله صلى الله عليه وسلّم وأَصحابه ثمانون رجلًا في السلاح من جبل التنعيم يريدون غِرَّة رسول الله صلى الله عليه وسلّم فأُخذوا فأَعتقهم فأَنزل الله: {وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم} الآية. وأَخرج مسلم نحوه من حديث سلمة بن الأَكوع وأَحمد والنَّسائي نحوه من حديث عبد الله بن مغفل المزني وابن إسحاق نحوه من حديث ابن عباس"([122]).

أسباب نزول الآية (25 الفتح):

"وأَخرج الطبراني، وأَبو يعلى عن أَبي جمعة جنيد بن سبُع قال: قاتلت النبي صلى الله عليه وسلّم أَول النهار

كافرًا وقاتلت معه آخر النهار مسلمًا وكنا ثلاثة رجال

وسبع نسوة وفينا نزلت: {وَلَوْلا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَـٰتٌ} "([123]).

أسباب نزول الآية (27 الفتح):

"وأَخرج الفريابي وعبد بن حميد والبيهقي في الدلائل عن مجاهد قال: أُري النَّبي صلى الله عليه وسلّم وهو بالحديبية أَنَّه يدخل مكة هو وأَصحابَه آمنين محلّقِين رؤوسهم ومقصِّرين، فلمَّا نحر الهدي بالحديبية قال أَصحابه: أَين رؤياك يا رسول الله؟ فنزلت: {لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّؤيَا} الآية"([124])

تفسير الجلالين للآيات (10-29 الفتح):

"10- {إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ} بيعة الرضوان بالحديبية {إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ} هو نحو «مَنْ يُطع الرسول فقد أطاع الله» {يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} التي بايعوا بها النبي، أي هو تعالى مطلع على مبايعتهم فيجازيهم عليها {فَمَن نَّكَثَ} نقض البيعة {فَإِنَّمَا يَنكُثُ} يرجع وبال نقضه {عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْه ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ} بالياء والنون {أَجْرًا عَظِيمًا}. 11- {سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلاعْرَابِ} حول المدينة أي الذين خلفهم الله عن صحبتك لما طلبتهم ليخرجوا معك إلى مكة، خوفا من تعرّض قريش لك عام الحديبية، إذا رجعت منها {شَغَلَتْنَآ أَموالُنَا وَأَهْلُونَا} عن الخروج معك {فَٱسْتَغْفِرْ لَنَاۚ} الله من ترك الخروج معك. قال تعالى مكذبا لهم {يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم} أي من طلب الاستغفار وما قبله {مَّا لَيْسَ في قُلُوبِهِمْ} فهم كاذبون في اعتذراهم {قُلْ فَمَن} استفهام بمعنى النفي أي لا أحد {يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا} بفتح الضاد وضمها {أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} أي لم يزل متصفا بذلك. 12- {بَلْ} في الموضعين للانتقال من غرض إلى آخر {ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ في قُلُوبِكُمْ} أي إنهم يستأصلون بالقتل فلا يرجعون {وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ} هذا وغيره {وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا} جمع بائر: أي هالكين عند الله بهذا الظنّ. 13- {وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا} نارا شديدة. 14- {وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلارْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} أي لم يزل متصفا بما ذكر. 15- {سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ} المذكورون {إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ} هي مغانم خيبر {لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا} اتركونا {نَتَّبِعْكُمْ} لنأخذ منها {يُرِيدُونَ} بذلك {أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ ٱللَّهِۚ} وفي قراءة «كَلِمَ الله» بكسر اللام أي مواعيده بغنائم خيبر أهل الحديبية خاصة {قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُۖ} أي قبل عودنا {فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا} أي نصيب معكم من الغنائم فقلتم ذلك {بَلْ كَانُوا لا يَفْقَهُونَ} من الدين {إلا قَلِيلا} منهم. 16- {قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلاعْرَابِ} المذكورين اختبارا {سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ

أُوْلِى} أصحاب {بَأْسٍ شَدِيدٍ} قيل هم بنو حنيفة أصحاب اليمامة، وقيل فارس والروم {تُقَاتِلُونَهُمْ} حال مقدرة هي المدعو إليها في المعنى {أَوْ} هم {يُسْلِمُونَ} فلا تقاتلون {فَإِن تُطِيعُوا} إلى قتالهم {يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} مؤلما. 17- {لَّيْسَ عَلَى ٱلاعْمَىٰ حَرَجٌ وَلا عَلَى ٱلاعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ} في ترك الجهاد {وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ} بالياء والنون {جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلانْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ} بالياء والنون {عَذَابًا أَلِيمًا}. 18- {لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ} بالحديبية {تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ} هي سمرة، وهم ألف وثلاثمائة أو أكثر، ثم بايعهم على أن يناجزوا قريشا وأن لا يفرّوا من الموت {فَعَلِمَ} الله {مَا في قُلُوبِهِمْ} من الصدق والوفاء {فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} هو فتح خيبر بعد انصرافهم من الحديبية. 19- {وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا} من خيبر {وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} أي لم يزل متصفا بذلك. 20- {وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا} من الفتوحات {فَعَجَّلَ لَكُمْ هَـٰذِهِ} غنيمة خيبر {وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ} في عيالكم لما خرجتم، وهمت بهم اليهود فقذف الله في قلوبهم الرعب {وَلِتَكُونَ} أي المعجلة عطف على مقدّر: أي لتشكروه {آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ} في نصرهم {وَيَهْدِيَكُمْ صِراطًا مُّسْتَقِيمًا} أي طريق التوكل عليه وتفويض الأمر إليه تعالى. 21- {وَأُخْرَىٰ} صفة «مغانم» مقدّرا مبتدأ {لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا} هي من فارس والروم {قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا} علم أنها ستكون لكم {وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا} أي لم يزل متصفا بذلك. 22- {وَلَوْ قَاتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كفَرُوا} بالحديبية {لَوَلَّوُا ٱلادْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا} يحرسهم {وَلا نَصِيرًا}. 23- {سُنَّةَ ٱللَّهِ} مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبلـه من هزيمة الكافرين ونصر المؤمنين: أي سنّ اللـه ذلك سُنَّة {ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلا} منه. 24- {وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ} بالحديبية {مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ} فإنّ ثمانين منهم طافوا بعسكركم ليصيبوا منكم فأُخذوا وأُتي بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم فعفا عنهم وخلى سبيلهم، فكان ذلك سبب الصلح {وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا} بالياء والتاء أي لم يزل متصفا بذلك. 25- {هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ} أي عن الوصول إليه {وَٱلْهَدْىَ} معطوف على «كُمْ» {مَعْكُوفًا} محبوسا حال {أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ} أي مكانه الذي ينحر فيه عادة وهو الحرم بدل اشتمال {وَلَوْلا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَاتٌ} موجودون بمكة مع الكفار {لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ} بصفة الإيمان {أَن تَطَؤُوهُمْ} أي تقتلوهم مع الكفار لو أذن لكم في الفتح بدل اشتمال من «هم» {فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ} أي إثم {بِغَيْرِ عِلْمٍ} منكم به وضمائر الغيبة للصنفين بتغليب الذكور وجواب «لولا» محذوف: أي لأذن لكم في

الفتح لكن لم يؤذن فيه حينئذ {لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ في رَحْمَتِهِ مَن يَشَآءُ} كالمؤمنين المذكورين {لَوْ تَزَيَّلُوا} تميزوا عن الكفار {لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ} من أهل مكة حينئذ بأن نأذن لكم في فتحها {عَذَابًا أَلِيمًا} مؤلما. 26- {إِذْ جَعَلَ} متعلق «بعذبنا» {ٱلَّذِينَ كَفَرُوا} فاعل {في قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ} الأنفة من الشيء {حَمِيَّةَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ} بدل من الحمية وهي صدهم النبي وأصحابه عن المسجد الحرام {فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ} فصالحوهم على أن يعودوا من قابل، ولم يلحقهم من الحمية ما لحق الكفار حتى يقاتلوهم {وَأَلْزَمَهُمْ} أي المؤمنين {كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ} «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وأضيفت إلى التقوى لأنها سببها {وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا} بالكلمة من الكفار {وَأَهْلَهَاۚ} عطف تفسيري {وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا} أي لم يزل متصفا بذلك، ومن معلومه تعالى أنهم أهلها. 27- {لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّؤْيَا بِٱلْحَقِّ} رأى رسول الله صلى الله عليه وسلّم في النوم عام الحديبية قبل خروجه أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين ويحلقون ويقصرون فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا فلما خرجوا معه وصدهم الكفار بالحديبية ورجعوا وشق عليهم ذلك وراب بعض المنافقين نزلت. وقوله «بالحق» متعلق بـ «بصدق» أو حال من «الرؤيا» وما بعدها تفسيرها {لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ} للتبرك {مُحَلِّقِينَ رُؤوسَكُمْ} أي جميع شعورها {وَمُقَصِّرِينَ} بعض شعورها، وهما حالان مقدّرتان {لا تَخَافُونَ} أبدا {فَعَلِمَ} في الصلح {مَا لَمْ تَعْلَمُوا} من الصلاح {فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ} أي الدخول {فَتْحًا قَرِيبًا} هو فتح خيبر، وتحققت الرؤيا في العام القابل. 28- {هُوَ ٱلَّذِىَ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ} أي دين الحق {عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۚ} على جميع باقي الأديان {وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا} أنك مرسل بما ذكر. كما قال الله تعالى. 29- {مُّحَمَّدٌ} مبتدأ {رَّسُولُ ٱللَّهِۚ} خبره {وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ} أي أصحابه من المؤمنين مبتدأ خبره {أَشِدَّاءُ} غلاظ {عَلَى ٱلْكُفَّارِ} لا يرحمونهم {رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ} خبر ثان، أي متعاطفون متوادّون كالوالد مع الولد {تَرَاهُمْ} تبصرهم {رُكَّعًا سُجَّدًا} حالان {يَبْتَغُونَ} مستأنف يطلبون {فَضْلا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَـاهُمْ} علامتهم مبتدأ {في وُجُوهِهِم} خبره، وهو نور وبياض يعرفون به في الآخرة أنهم سجدوا في الدنيا {مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ} متعلق بما تعلق به الخبر، أي كائنة وأعرب حالًا من ضميره المنتقل إلى الخبر {ذَٰلِكَ} أي الوصف المذكور {مَثَلُهُمْ} صفتهم مبتدأ {في ٱلتَّوْرَاةِ} خبره {وَمَثَلُهُمْ في ٱلإنجِيلِ} مبتدأ خبره {كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ} بسكون الطاء وفتحها: فِراخه {فَـآزَرَهُ} بالمد والقصر. قواه وأعانه {فَٱسْتَغْلَظَ} غلظ {فَٱسْتَوَى} قوي واستقام {عَلَىٰ سُوقِهِ} أصوله جمع ساق {يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ} أي زرّاعه لحسنه مثّل الصحابة رضي الله عنهم بذلك لأنهم بدأوا في قلة وضعف على أحسن الوجوه {لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ} متعلق

بمحذوف دلّ عليه ما قبله، أي شبهوا بذلك {وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ مِنْهُم} أي الصحابة ومن لبيان الجنس لا للتبعيض لأنهم كلهم بالصفة المذكورة {مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} الجنة وهما لمن بعدهم أيضا في آيات"([125]).

من نصوص هذه الآيات (10-29 الفتح) ومن أسباب النزول وتفسير الجلالين نتبين أن الآية (10) تتحدث عن بيعة الرضوان بالحديبية، والآيات (11-16) تتحدث عن المنافقين الذين تخلفوا عن الخروج مع النبي (ص) يومها، والآية (17) بينت من هم المعفون من الجهاد بالقتال، والآيات (18-29) تعود للكلام عن بيعة الحديبية وما نتج عن صلح الحديبية من نتائج إيجابية للمسلمين يومذاك. فيكون بالتالي كل ما جاء في هذه الآيات حول القتال مخصصًا لتلك الحقبة من الزمن.

من سورة الحجرات (آياتها مدنية):

الآية (15 الحجرات):

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ *(15)}.

تفسير الجلالين للآية (15 الحجرات):

"15- {إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ} أي الصادقون في إيمانهم كما صرح به بعد {ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا} لم يشكّوا في الإيمان {وَجَـاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ في سَبِيلِ ٱللَّهِ} فجهادهم يظهر بصدق إيمانهم {أُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ} في إيمانهم لا من قالوا آمنا ولم يوجد منهم غير الإسلام"([126]).

الكلام في هذه الآية عن المجاهدين عامة، وكما قلنا سابقًا الجهاد ليس محصورًا بالقتال فقط.

من سورة الحديد:

الآية (10 الحديد) (مدنية):

{وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا

تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ *(10)}.

تفسير الجلالين للآية (10 الحديد):

"{10- {وَمَا لَكُمْ} بعد إيمانكم {ألاَّ} فيه إدغام نون «أن» في لام «لا» {تُنفِقُوا في سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَٱلارْضِ} بما فيهما فتصل إليه أموالكم من غير أجر الإنفاق، بخلاف ما لو أنفقتم فتؤجرون {لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ} لمكة {وَقَاتَلَ أُولَـٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُواْ وَكُلا} من الفريقين. وفي قراءة بالرفع مبتدأ {وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ} الجنة {وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} فيجازيكم به"([127]).

نفهم من هذه الآية ومما قاله الجلالان أن منزلة من أنفق وقاتل قبل فتح مكة هي أعظم درجة ممن أنفق بعده،
ولكن الاثنين موعودون بالجنة. وقد رأينا، في الفصل الثاني أن ليس كلُّ قتالٍ قتلا؛ بل يكون أيضًا باللعن والعِداء والمدافعة وبدفع الشر وبالإهمال (اعتبار الشخص كأنه غير موجود).

من سورة الحشر (آياتها مدنية):

الآية (2 الحشر):

{هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ *(2)}

تفسير الجلالين للآية (2 الحشر):

"2- {هُوَ ٱلَّذِىَ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} هم بنو النضير من اليهود {مِن دِيَـٰرِهِمْ} مساكنهم بالمدينة {لأوَّلِ ٱلْحَشْرِۚ} هو حشرهم إلى الشام، وآخره أن أجلاهم عمر في خلافته إلى خيبر {مَا ظَنَنتُمْ} أيها المؤمنون {أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ} خبر «أن» {حُصُونُهُم} فاعله، تم به الخبر {مِّنَ ٱللَّهِۖ} من عذابه {فَأَتَاهُمُ ٱللَّهُ} أمره وعذابه {مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا} لم يخطر ببالهم من جهة المؤمنين {وَقَذَفَ} ألقى {في قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَۚ} بسكون العين

وضمها الخوف بقتل سيدهم كعب بن الأشرف {يُخْرِبُونَ} بالتشديد والتخفيف، من أخْرب {بُيُوتَهُم} لينقلوا ما استحسنوه منها من خشب وغيره {بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا يَـٰٓأُوْلِى ٱلابْصَـٰرِ}" ([128]).

الكلام في هذه الآية هو عن قتال بني النضير من
اليهود، بعدما نقضوا العهد وساعدوا قريشا في حربها على النبي (ص) ومن معه، وهي بالتالي خاصة بالحقبة التي نزلت فيها.

الآيات (11-15 الحشر):

{أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ *(11) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ *(12) لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ *(13) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ * (14) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * (15)}

أسباب نزول الآية (11 الحشر):

"وأَخرج ابن أَبي حاتم عن السدي قال: أَسلم ناس من أَهل قريظة وكان فيهم منافقون وكانوا يقولون لأَهل النَّضير: لئن أُخرجتم لنخرجنَّ معكم، فنزلت هذه الآية فيهم: {أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَـافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْـوَٰنِهِمُ}"([129]).

تفسير الجلالين للآيات (11-15 الحشر):

"11- {أَلَمْ تَرَ} تنظر {إِلَى ٱلَّذِينَ نَـافَقُوا يَقُولُونَ لاخْوانِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} وهم بنو النضير وإخوانهم في الكفر {لَئِنْ} لام قسم في الأربعة {أُخْرِجْتُمْ} من المدينة {لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ

وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ} في خذلانكم {أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ} حذفت منه اللام الموطئة {لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} 12- {لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ ولَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَّصَرُوهُمْ} أي جاؤوا لنصرهم {لَيُوَلُّنَّ ٱلادْبَـارَ} واستغنى بجواب القسم المقدّر عن جواب الشرط في المواضع الخمسة {ثُمَّ لا يُنصَرُونَ} أي اليهود. 13- {لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً} خوفا {في صُدُورِهِمْ} أي المنافقين {مِّنَ ٱللَّهِۚ} لتأخير عذابه {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ}. 14- {لا يُقَـاتِلُونَكُمْ} أي اليهود {جَمِيعًا} مجتمعين {إلا في قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ} سور، وفي قراءة «جدار» {بَأْسُهُم} حربهم {بَيْنَهُمْ شَدِيدٌۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا} مجتمعين {وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى} متفرقة خلاف الحسبان {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ}. 15- مثلهم في ترك الإيمان {كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا} بزمن قريب وهم أهل بدر من المشركين {ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ} عقوبته في الدنيا من القتل وغيره {وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} مؤلم في الآخرة"([130]).

تتحدث هذه الآيات (11-15 الحشر) عن المنافقين وعلاقتهم مع بني النضير الذين نقضوا عهدهم للنبي وساعدوا قريشا، كما أسلفنا، في حربها النبي (ص) وأصحابه. وهي بالتالي خاصة للفترة التي نزلت فيها.

من سورة الممتحنة (آياتها مدنية):

الآية (1 الممتحنة):

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ *(1)}.

أسباب نزول الآية (1 الممتحنة):

"أَخرج الشيخان عن علي قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم أَنا والزُّبير والمقداد بن الأَسود فقال: انطلِقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإنَّ بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فأتوني به، فخرجنا حتى أَتينا الرَّوضة فإذا نحن بالظَّعينة، فقلنا: أَخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجنَّ الكتاب أَو لنلقينَّ الثياب، فأَخرجته من عقاصها، فأَتينا به رسول الله صلى الله عليه

وسلّم فإذا هو من حاطب بن أَبي بلْتَعة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أَمر النَّبي صلى الله عليه وسلّم. فقال: ما هذا يا حاطب؟ قال: لا تعجل عليَّ يا رسول الله إنِّي كنت ملصقًا في قريش ولم أَكن من أَنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أَهليهم وأَموالهم بمكة، فأَحببت إذ فاتني ذلك من نسب فيهم أَن اتخذ يدًا يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفرًا ولا ارتدادًا عن ديني ولا رضًا بالكفر، فقال النَّبي صلى الله عليه وسلّم: صدق، وفيه أُنزلت هذه السورة: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ}"([131]).

تفسير الجلالين للآية (1 الممتحنة):

"1- {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ} أي كفار مكة {أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ} توصلون {إِلَيْهِمْ} قصْد النبي صلى الله عليه وسلّم غزوهم الذي أسره إليكم وورّى بحنين {بِٱلْمَوَدَّةِ} بينكم وبينهم. كتب حاطب بن أبي بلتعة إليهم كتابا بذلك - لما له عندهم من الأولاد والأهل المشركين - فاستردّه النبي صلى الله عليه وسلّم ممن أرسله معه بإعلام الله تعالى له بذلك وقبل عذر حاطب فيه {وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ} أي دين الإسلام والقرآن {يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّـاكُمْ} من مكة بتضييقهم عليكم {أَن تُؤْمِنُوا} أي لأجل أن آمنتم {بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا} للجهاد {في سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى} وجواب الشرط دل عليه ما قبله: أي فلا تتخذوهم أولياء {تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ} أي إسرار خبر النبي إليهم {فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ} أخطأ طريق الهدى. والسواء في الأصل: الوسط"([132]).

واضح أن هذه الآية خاصة بحقبة القتال بين النبي (ص) وأصحابه، من جهة، ومشركي قريش من جهة أخرى. وهي تنهى عن التحالف مع الأعداء وهذا أمر بديهيٌّ.

الآيتان (8-9 الممتحنة):

{لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ *(8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ *(9)}.

في هاتين الآيتين تأكيدٌ بأنه تعالى نهى المؤمنين عن موالاة الذين يقاتلونهم في الدين ويخرجونهم من ديارهم. وهل في هذا ضيرٌ؟ وهل يكون من قاتلني وأخرجني من دياري سوى عدوّي؟

من سورة الصّفّ (آياتها مدنية):

الآية (4 الصف):

{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ *(4)}.

تفسير الجلالين للآية (4 الصف):

"4- {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ} ينصر ويكرم {ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ في سَبِيلِهِ صَفًّا} حال أي صافين {كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ} ملزق بعضه إلى بعض ثابت"([133]).

لا أرى في هذه الآية سوى الحضّ على الاتحاد. وكما يقال: "في الاتحاد قوة"، سواء في الحرب أم في غيرها.

الآيات (10-14 الصف):

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ *(10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ *(11) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *(12) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ *(13) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ *(14)}.

أسباب نزول الآية (10 الصف):

"وأَخرج عن أَبي صالح قال: قالوا: لو كنا نعلم أَيُّ الأَعمال أَحبُّ إلى الله وأَفضل، فنزلت: {يا أيها ٱلَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ} الآية، فكرهوا الجهاد، فنزلت: {يا أيها ٱلَّذِينَ آمَنُوا لِمَ

تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ}. وأَخرج ابن أَبي حاتم من طريق علي عن ابن عباس نحوه. وأَخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس وابن جرير عن الضحاك قال: أنزلت: {لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ} في الرجل يقول في القتال ما لم يفعله من الضرب والطعن والقتل. وأَخرج ابن أَبي حاتم عن مقاتل أَنَّها نزلت في تولِّيهم يوم أُحد"([134]).

أسباب نزول الآية (11 الصف):

"وأَخرج عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت: {يا أيها ٱلَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}، قال المسلمون: لو علمنا ما هذه التِّجارة لأَعطينا فيها الأموال والأهلين فنزلت: {تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ} "([135]).

تفسير الجلالين للآيات (10-14 الصف):

"10- {يا أيها ٱلَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم} بالتخفيف والتشديد {مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} مؤلم فكأنهم قالوا: نعم، فقال: 11- {تُؤْمِنُونَ} تدومون على الإيمان {بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ في سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} أنه خير لكم فافعلوه. 12- {يَغْفِرْ} جواب شرط مقدّر: أي إن تفعلوه يغفر {لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلانْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً في جَنَّاتِ عَدْنٍۚ} إقامة {ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ}. 13- {وَ} يؤتكم نعمة {أُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ} بالنصر والفتح. 14- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ} لدينه وفي قراءة بالإضافة {كَمَا قَالَ} الخ المعنى: كما كان الحواريون كذلك الدال عليه قال {عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ} أي: من الأنصار الذين يكونون معي متوجها إلى نصرة الله؟ {قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ} والحواريون أصفياء عيسى، وهم أوّل من آمن به وكانوا اثني عشر رجلًا - من الحور: وهو البياض الخالص، وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب: أي يبيضونها - {فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ} بعيسى، وقالوا إنه عبد الله رفع إلى السماء {وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ فَأَيَّدْنَا} قوّينا {ٱلَّذِينَ آمنوا} من الطائفتين {عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ} الطائفة الكافرة {فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ} غالبين"([136]).

في هذه الآيات (10-14) حضٌّ على الإيمان والجهاد بجميع أشكاله، والوعد بالنصر يوم الفتح، أي فتح مكة. ولا كلام فيهن عن القتال بالتحديد.

من سورة التحريم (آياتها مدنية):

الآية (9 التحريم):

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ *(9)}.

وكما أسلفنا للجهاد معانٍ عديدة وليس بالضرورة أن يكون بالقتال، وقد بيّناها في الفصل الثاني من هذا البحث.

من سورة المزمل:

الآية (20 المزمل) (مدنية):

{إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ *(20)}.

تفسير الجلالين للآية (20 المزمل):

"20- {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ} أقل {مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ} بالجر عطف على «ثلثي» وبالنصب على «أدنى» وقيامه كذلك نحو ما أمر به أول السورة {وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ} عطف على ضمير «تقوم» وجاز من غير تأكيد للفصل وقيام طائفة من أصحابه كذلك للتأسي به، ومنهم من كان لا يدري كم صلى من الليل وكم بقي منه فكان يقوم الليل كله احتياطا، فقاموا حتى انتفخت أقدامهم سنة أو أكثر فخفف عنهم. قال تعالى {وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ} يحصي {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَن} مخففة من الثقيلة واسمها محذوف: أي إنه {لَّن تُحْصُوهُ} أي الليل لتقوموا فيما يجب القيام فيه إلا بقيام جميعه وذلك يشق

عليكم {فَتَابَ عَلَيْكُمْ} رجع بكم إلى التخفيف {فَٱقْرَأوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْآنِ} في الصلاة بأن تصلوا ما تيسر {علم أَن} مخففة من الثقيلة: أي إنه {سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ في ٱلارْضِ} يسافرون {يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ} يطلبون من رزقه بالتجارة وغيرها {وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} وكل من الفرق الثلاث يشق عليهم ما ذكر في قيام الليل فخفف عنهم بقيام ما تيسر منه، {فَٱقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ} كما تقدّم {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} المفروضة {وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ} بأن تنفقوا ما سوى المفروض من المال في سبيل الخير {قَرْضًا حَسَنًاۚ} عن طيب قلب {وَمَا تُقَدِّمُوا لانفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا} مما خلفتم. و«هو» فصل، وما بعده وإن لم يكن معرفة يشبهها لامتناعه من التعريف {وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ وَٱسْتَغْفِرُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} للمؤمنين"([137]).

هذه الآية مدنية وفيها نوع من تنظيم أوقات المؤمنين والتخفيف عن النبي (ص) وأصحابه فيما كانوا يقومون به من التعبد الطويل في الليالي. وما كان إدراجها بين آيات الجهاد إلّا لورود الكلام عن {آخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}، وعلى الرغم من أن لكلمة "قاتل" معانيا عديدة بيناها في الفصل الثاني من هذا البحث.

من سورة النصر (آياتها مدنية):

الآيات (1-3 النصر):

{إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ *(1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ
فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا *(2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا *(3)}.

أسباب نزول الآية (1 النصر):

"أَخرج عبد الرزاق في مصنَّفه عن معمر عن الزهري قال: لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلّم مكَّة عام الفتح بعث خالد بن الوليد فقاتل بمن معه صفوف قريش بأَسفل مكَّة، حتى هزمهم الله، ثمَّ أَمر بالسلاح فرفع عنهم، فدخلوا في الدين فأَنزل الله: {إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ} حتَّى ختمها"([138]).

تفسير الجلالين للآيات (1-3 النصر):

"1- {إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ} نبيه صلى الله عليه وسلّم على أعدائه {وَٱلْفَتْحُ} فتح مكة. 2- {وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ في دِينِ ٱللَّهِ} أي الإسلام {أَفْوَاجًا} جماعات بعد ما كان يدخل فيه واحد واحد، وذلك بعد فتح مكة جاءه العرب من أقطار الأرض طائعين. 3- {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ} أي متلبسا بحمده {وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابَۢا} وكان صلى الله عليه وسلّم بعد نزول هذه السورة يكثر من قول «سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه». وعلم بها أنه قد اقترب أجله، وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان. وتوفي صلى الله عليه وسلّم في ربيع الأوّل سنة عشر"([139]).

ويورد ابن كُثَير في تفسيره لهذه االسورة (النصر) شواهد على ما يلي:

"هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلّم أعلمه له". أو "نعيت لرسول الله صلى الله عليه وسلّم نفسه حين نزلت".

"قول رسول الله صلى الله عليه وسلّم في المدينة إذ قال: «الله أكبر الله أكبر جاء نصر الله والفتح جاء أهل اليمن قيل يارسول الله وما أهل اليمن؟ قال قوم رقيقة قلوبهم، لينة طباعهم، الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية»". وبنصٍّ آخر لهذا القول: "«جاء الفتح ونصر الله، وجاء أهل اليمن» فقال رجل: يا رسول الله وما أهل اليمن؟ قال: «قوم رقيقة قلوبهم، لينة طباعهم، الإيمان يمان، والفقه يمان»".

وقول النبي (ص): "«الناس حيّز وأنا وأصحابي حيّز وقال لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية»". وبنصٍّ آخر: "«لا هجرة ولكن جهاد ونية، ولكن إذا استنفرتم فانفروا».

وأنها "آخر سورة نزلت من القرآن الكريم جميعًا". وهذا ما يقوله أيضًا كثيرٌ من علماء الفقه.

"وقد روى البخاري في صحيحه عن عمرو بن سلمة قال: لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم وكانت الأحياء تتلوم بإسلامها فتح مكة، يقولون دعوه وقومه فإن ظهر عليهم فهو نبي الحديث"([140]). ويكاد علماء الفقه يجمعون على أن المقصود بـ "الفتح" هو فتح مكة.

الخلاصة

نستخلص مما تقدم ما يلي:

أولًا: إنّ الغالبية العظمى لآيات "الجهاد" مدنية، ما يعني أنها نزلت على النبي (ص) بعد هجرته وأصحابه من مكة إلى المدينة. أما الآيات التي تكلمت عن قتالهم المشركين ومن ناصرهم من سائر القبائل واليهود والمنافقين، فكانت جميعها مدنية.

ثانيًا: وقد تبين لنا من نصوص الآيات وأقوال المفسرين وأسباب النزول أنَّ ما جاء في الآيات التي ذكرت القتال والقتل، كان مخصصًّا حصرًا للفترة أو الأيام أو الأحداث التي نزلت إبّانها.

ثالثًا: لقد تكرر في هذه الآيات الأمر بعدم الاعتداء بحيث كان القتال دفاعًا عن النفس. وفي حال كفَّ المعتدي عن القتال فلا اعتداء عليه، وإذا أسلم فالإسلام يقطع ما قبله، بالعفو والغفران عما سلف.

وهذا كلُّه يجعلنا نرى أنّ الجهادَ بالقتالِ انتهى مع وفاة النبي (ص).

كما أن من المعلوم أن فترة الدعوة قد امتدت نحوًا من ثلاث وعشرين سنة، ثلاث عشرة في مكة وعشر في المدينة. وفي مكة كانت في ثلاث منها سرية وعشر جهرية. وعلى الرغم مما تعرض له المسلمون من ظلمٍ واضطهاد، في مكة قبل الهجرة، فلم تذكر كتب التاريخ أنَّ النبي (ص) أو أيًّا من أصحابه قد رفع السيف بوجه غير مسلمٍ، أو حتى أكره إنسانًا ما على الدخول في الإسلام.

ملحق

نص صحيفة المدينة

(كما جاءت في (ص 345 -347) من كتاب السيرة النبوية لابن هشام - ابن هشام المعافري - دار الجيل - بيروت - قرص مدمج - شركة العريس)

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم([141]) يتعاقلون([142]) بينهم، وهم يفدون عانيهم([143]) بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وإن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحا([144]) بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.

وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه؛ وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة ظُلم([145])، أو إثم، أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين؛ وإن أيديهم عليه جميعا، ولوكان ولد أحدهم؛ ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر، ولا ينصر كافرا على مؤمن؛ وإن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم؛ وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس؛ وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم؛ وإن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم؛ وإن كل غازية غزت معنا يُعقب بعضها بعضا؛ وإن المؤمنين يُبيء([146]) بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله؛ وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه؛ وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا، ولا يحول دونه على مؤمن؛ وإنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه؛ وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر مُحْدثا ولا يُؤويه؛ وأنه من نصره أو آواه، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل؛ وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإن مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد صلى الله عليه وسلم؛ وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين؛ وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يُوتِغُ([147]) إلا نفسه، وأهل بيته، وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف؛ وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف؛ وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف؛ وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف؛ وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف؛ وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف؛ إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يُوتغ إلا نفسه وأهل بيته؛ وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم؛ وإن لبني الشُّطَيبة مثل ما ليهود بني عوف، وإن البر دون الإثم؛ وإن موالي ثعلبة كأنفسهم؛ وإن بطانة يهود كأنفسهم؛ وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد صلى الله عليه وسلم؛ وإنه لا ينحجز على نار جرح؛ وإنه من فتك فبنفسه فتك، وأهل بيته، إلا من ظلم؛ وإن الله على أبر هذا؛ وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم؛ وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة؛ وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم؛ وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه؛ وإن النصر للمظلوم؛ وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين؛ وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة؛ وإن الجار كالنفس غير مُضار ولا آثم؛ وإنه لا تجُار حُرمة إلا بإذن أهلها؛ وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخُاف فساده، فإن مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وإن الله على أتقى ما في هذه

الصحيفة وأبره؛ وإنه لا تجُار قريش ولا من نصرها؛ وإن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دُعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه، فإنهم يصالحونه ويلبسونه؛ وإنهم إذا دُعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قِبَلَهم؛ وإن يهود الأوس، مواليهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة. مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة. (148)

وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره؛ وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم، وإنه من خرج آمنٌ، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو أثم؛ وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المراجع

كتب ورقية

المصحف الشريف - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - 1421 - ص. ب. المدينة المنورة المملكة العربية السعودية.

دليل الموضوعات في آيات القرآن الكريم - أسامه كامل أبو شقرا - الطبعة الأولى بيروت 2001.

قرة العين على تفسير الجلالين - الشيخ محمد أحمد كنعان - الطبعة السادسة - 1418هـ/1997م - دار البشائر الإسلامية - بيروت - لبنان.

صفحات مجهولة من تاريخ بلاد الشام (من ذكريات أحمد الخطيب) - منيف الخطيب - دار النفائس - بيروت - 2011.

زبدة التفكير في رفضِ السّبِّ والتكفير - العلامة السيد
علي الأمين - الطبعة الثانية - يناير (كانون الثاني)
2015 - دار مدارك للنشر - دبي - الإمارات العربية المتحدة.

كتب من قرص مدمّج (DVD)

(المرجع الأكبر للتراث الإسلامي - شركة العريس للكومبيوتر - بيروت - الإصدار 3.1.)

أسباب النزول - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - 2000

البداية والنهاية - أبو الفداء، إسماعيل بن كثير الدمشقي القرشي - مكتبة المعارف - بيروت 1988

نور اليقين في سيرة سيد المرسلين - محمد بن عفيفي الباجوري المعروف بالشيخ الحضري - طبعة 2001 - دار الحديث - القاهرة - جمهورية مصر العربية

تفسير الفخر الرازي دار إحياء التراث العربي - بيروت 1995- (محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبد الله فخر الدين- 543 - 606هـ/1148 - 1209م).

السيرة النبوية لابن هشام - ابن هشام المعافري - دار الجيل - بيروت.

تاريخ ابن خلدون - دار الكتب العلمية - بيروت - 2002.

إعراب القرآن - الزجاج.

تفسير ابن كُثَير - أبو الفداء إسماعيل بن كُثير القرشي الدمشقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - 1985.

تفسير الطبري - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - دار المعرفة - بيروت - 1992.

تفسير القرطبي - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - 1985.

معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم - أبو القاسم الحسين بن محمد الفضل.

أعمال سابقة للمؤلف

دليل الموضوعات في آيات القرآن الكريم - الطبعة الأولى - بيروت - 2001.

أصول تطبيق قانون الضريبة على القيمة المضافة - الطبعة الأولى - بيروت - 2002. الطبعة الثانية - بيروت 2004.

المسيح (عليه الصلاة والسلام) في القرآن - الطبعة الأولى - بيروت 2004.

وترجم إلى الفرنسية في العام 2013 بعنوان:

Jésus - Christ et la Vierge Marie dans le Coran - 1ère édition - Beyrouth - 2013

الاقتصاد في القرآن - الطبعة الأولى - بيروت - 2007.

تحقيق كتاب - أعمال غير منشورة في كتاب لعارف يوسف أبو شقرا - الطبعة الأولى - بيروت - 2011.

حنينُ الحُبِّ - الطبعة الأولى - 2016 - الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت - لبنان.

عودة إلى أسباب أحداث القرن التاسع عشر في جبل لبنان - 2017 - الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت - لبنان.

Notes

[1←]

ص (111) صفحات مجهولة من تاريخ بلاد الشام (من ذكريات أحمد الخطيب) - منيف الخطيب - دار النفائس - بيروت - 2011.

[2←]

في الأغلب أنها كانت هيئة الإذاعة البريطانية.

[3←]

الموالاة: التحالف.

[4←]

بَرَرْتُه بِرًّا: وَصَلْتُه. وأَقْسطَ في حكمه: عدَلَ، فهو مُقْسِطٌ. (لسان العرب)

[5←]

النَّظْمُ: التأْليفُ، نَظَمَه يَنْظِمُه نَظْمًا ونِظامًا ونَظَّمه فانْتَظَم وتَنَظَّم. ونظَمْتُ اللؤْلؤَ أي جمعته في السِّلْك، والتنظيمُ مثله، ومنه نَظَمْتُ الشِّعر ونَظَّمْته، ونَظَمَ الأَمرَ على المثَل. وكلُّ شيء قَرَنْتَه بآخر أو ضَمَمْتَ بعضَه إلى بعض، فقد نَظَمَتْه. (لسان العرب). والمقصود هنا الفهم الصحيح لما أراد واضع النص إبلاغه للقارئ أو السامع.

[6←]

إعراب القرآن - الزجاج.

[7←]

معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم - أبو القاسم الحسين بن محمد الفضل.

[8←]

راجع الفصل في الأول أعلاه - رؤيتنا في تصنيف البشر إلى علماء ومتعلمين وعامة.

[9←]

تفسير الجلالين.

[10←]

راجع (ص 848) من كتابنا، "دليل الموضوعات في آيات القرآن الكريم" - الطبعة الأولى - بيروت - 2001.

[11←]

"الرحمن"، 49 مرة و"الرحيم" 34 مرّة.

[12←]
راجع (ص 1013) من كتابنا، "دليل الموضوعات في آيات القرآن الكريم" - الطبعة الأولى - بيروت - 2001.

[13←]
راجع (ص 89) من كتاب "نور اليقين في سيرة سيد المرسلين" - محمد بن عفيفي الباجوري المعروف بالشيخ الحضري - طبعة 2001 - دار الحديث - القاهرة.

[14←]
{يوعدون} من العذاب في الآخرة لطوله (تفسير الجلالين).

[15←]
يمكن الاطلاع على نص "صحيفة المدينة" في الملحق بهذا الكتاب.

[16←]
{فانبذ} اطرح عهدهم {إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ} حال، أي مستويا أنت وهم في العلم بنقض العهد بأن تعلمهم به لئلا يتهموك بالغدر. (تفسير الجلالين)

[17←]
راجع (ص 89) من كتاب "نور اليقين في سيرة سيد المرسلين" - محمد بن عفيفي الباجوري المعروف بالشيخ الحضري - طبعة 2001 - دار الحديث - القاهرة.

[18←]
البقرة 190.

[19←]
التوبة 36.

[20←]
البقرة 256.

[21←]
الكهف 29.

[22←]
يونس 99.

[23←]
ص 53 وما بعدها من كتاب زبدة التفكير في رفض السّبِّ والتكفير - العلامة السيد علي الأمين - الطبعة الثانية - يناير (كانون الثاني) 2015 - دار مدارك للنشر - دبي - الإمارات العربية المتحدة.

[24←]
يقال: وضَعَ الشيءَ من يده يَضَعُه وَضْعًا إذا أَلقاه، وفي الحديث: من أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَو وَضَعَ له أَي حَطَّ عنه من أَصْلِ الدَّيْنِ شيئًا. (لسان العرب)

[25←]
وكان مسترضعًا في بني ليث فقتله بنو هذيل فهو أول ما أبدئ من دم الجاهلية. (ص 461 - تاريخ ابن خلدون - ج 2 - دار الكتب العلمية - بيروت 2002). وأبدئ: أُخرج (مقاييس اللغة).

[26←]
العَمْدُ: ضدّ الخطإِ في القتل وسائر الجنايات. والقَوَدُ قَتْلُ النفْسِ بالنفسِ. (لسان العرب)

[27←]
هي السورة رقم (111)، {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ* مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ* سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ...}.

[28←]
السورة رقم (106) {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ* إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ*...}.

[29←]
http://www.shareah.com/index.php?/records/view/action/view/id/1689/

[30←]
تاريخ الأمة القبطية - الطبعة الثانية - مطبعة متروبول - سنة 2000. (كانت الأولى في العام 1898 بمطبعة التوفيق شارع كلوت بك بمصر).

[31←]
http://www.toratheyat.com/t-9573.html?t=9573

[32←]
تفسير ابن كُثَير.

[33←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[34←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[35←]
المرجع السابق.

[36←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - الطبعة الأولى 1412 هـ - 1992م دمشق.

[37←]
الصيال: المواثبة. (لسان العرب)

[38←]
تفسير ابن كُثَير.

[39←]
تفسير الفخر الرازي دار إحياء التراث العربي - بيروت (1995) محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبد الله فخر الدين (543 - 606 هـ/1148 - 1209م).

[40←]
تفسير ابن كُثَير.

[41←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[42←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[43←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[44←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[45←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[46←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[47←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[48←]
المرجع السابق.

[49←]
أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[50←]
المرجع السابق.

[51←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[52←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000"
(أسطوانة مدمجة - المرجع الأكبر للتراث الإسلامي - العريس للكومبيوتر).

[53←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[54←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[55←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[56←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[57←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[58←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[59←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[60←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[61←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[62←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[63←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[64←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[65←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[66←]
البَرِيدُ: فرسخان، والجمع بُرُد. وفي الحديث: لا تُقْصَرُ الصلاةُ في أَقلَّ من أَربعة بُرُدٍ، وهي ستة عشر فرسخًا، والفرسخ ثلاثة أَميال، والميل أَربعة آلاف ذراع. (لسان العرب)

[67←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[68←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[69←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[70←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[71←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[72←]
المرجع السابق.

[73←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[74←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[75←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[76←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[77←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[78←]
المرجع السابق.

[79←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[80←]
المرجع السابق.

[81←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[82←]
المرجع السابق.

[83←]
الإحْنةُ: الحقْدُ في الصدر، ج. الإحَنُ. (لسان العرب)

[84←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[85←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[86←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[87←]
" المرجع السابق.

[88←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[89←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[90←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[91←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[92←]
المرجع السابق.

[93←]
المرجع السابق.

[94←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[95←]
المرجع السابق.

[96←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[97←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[98←]
المرجع السابق.

[99←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[100←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[101←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[102←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[103←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[104←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[105←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[106←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[107←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[108←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[109←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[110←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[111←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[112←]
المرجع السابق.

[113←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[114←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[115←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[116←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[117←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[118←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[119←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[120←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[121←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[122←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[123←]
المرجع السابق.

[124←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[125←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[126←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[127←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[128←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[129←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[130←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[131←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[132←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[133←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[134←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[135←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[136←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[137←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412 هـ/1992م.

[138←]
"أسباب النزول" - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - عام 2000.

[139←]
تفسير الجلالين - دار الإخاء - دمشق الطبعة الأولى - 1412هـ/1992م.

[140←]
تفسير ابن كُثَير.

[141←]
رِباعةُ الرجل: شأْنه وحالهُ التي هو رابِعٌ عليها أَي ثابت مُقيمٌ. الفراء: الناس على سَكَناتهم ونَزلاتهم ورَباعتهم ورَبَعاتهم يعني على استقامتهم. ووقع في كتاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ليهود على رِبْعَتهم؛ هكذا وجد في سِيَر ابن إِسحقَ وعلى ذلك فسره ابن هشام. يتعاقلون: أَي يكونون على ما كانوا عليه من أَخذ الديات وإِعطائها، وهو تَفاعُلٌ من العَقْل. والعاني الأَسِيرُ. وقال أَبو الهيثم: العاني الخاضِعُ، والعاني العَبْدُ، والعاني السائِلُ من ماءٍ أَوْ دَمٍ.

[142←]
يَتَعاقَلُون بينهم مَعاقِلَهم الأُولى أَي يكونون على ما كانوا عليه من أَخذ الديات وإِعطائها، وهو تَفاعُلٌ من العَقْل. والمَعاقِل: الدِّيات، جمع مَعْقُلة.

[143←]
العاني الأَسِيرُ

[144←]
قال ابن هشام: المُفْرح: المثقل بالدين والكثير العيال. قال الشاعر:

إذا أنت لم تبرح تؤدي أمانة وتحمل أخرى أفرحتك الودائع

[145←]
(أَي طلَب دَفْعًا على سبيل الظلم فأَضافه إليه، وهي إضافة بمعنى من؛ ويجوز أَن يراد بالدَّسِيعة العَطِيَّة أَي ابتغى منهم أَن يَدْفعوا إليه عطية على وجه ظُلمهم أَي كونهم مَظْلومين، وأَضافها إلى ظُلْمه (* قوله «الى ظلمه» كذا في الأصل تبعًا للنهاية بهاء الضمير.) لأَنه سبب دفعهم لها.)

[146←]
وأَباءَ عليه مالَه: أَراحَه. تقول: أَبَأْتُ على فلان ماله: إذا ارَحْتَ عليه إبلَه وغَنَمَه، وأَباءَ منه.

[147←]
الوَتَغُ، بالتحريك: الهَلاكُ. وَتِغَ يَوْتَغُ وتَغًا: فسَدَ وهلَكَ وأَثِمَ، وأَوْتَغَه هو.

[148←]
قال ابن هشام: ويقال: مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة. قال ابن إسحاق: وإن البر دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه؛